الفصل الثاني

استخلاف ذي النورين ومنهجه في الحكم وأهم صفاته الشخصية

المبحث الأول

استخلاف ذي النورين

أولاً: الفقه العمري في الاستخلاف:

استمر اهتمام الفاروق رضي الله عنه بوحدة الأمة ومستقبلها حتى اللحظات الأخيرة من حياته، رغم ما كان يعانيه من آلام جراحاته البالغة، وهي بلا شك لحظات خالدة، تجلى فيها إيمان الفاروق العميق، وإخلاصه وإيثاره[1]، وقد استطاع الفاروق في تلك اللحظات الحرجة أن يبتكر طريقة جديدة لم يسبق إليها في اختيار الخليفة الجديد، وكانت دليلاً ملموساً، ومَعْلَماً واضحاً على فقهه في سياسة الدولة الإسلامية، لقد مضى قبله الرسول ﷺ ولم يستخلف بعده أحداً بنص صريح، ولقد مضى أبو بكر الصدِّيق واستخلف الفاروق بعد مشاورة كبار الصحابة، ولما طُلب من الفاروق أن يستخلف وهو على فراش الموت، فكر في الأمر ملياً، وقرر أن يسلك مسلكاً آخر يتناسب مع المقام؛ فرسول الله ﷺ ترك الناس وكلهم مقرٌّ بأفضلية أبي بكر، وأسبقيته عليهم، فاحتمال الخلاف كان نادراً، وخصوصاً: أن النبي ﷺ وجّه الأمة قولاً وفعلاً إلى أن أبا بكر أولى بالأمر من بعده.

والصدِّيق لما استخلف عمر كان يعلم أن عند الصحابة أجمعين قناعة بأن عمر أقوى، وأفضل مَن يحمل المسؤولية بعده، فاستخلفه بعد مشاورة كبار الصحابة، ولم

(1) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني، ص(161).

يخالف رأيه أحد منهم، وحصل الإجماع على بيعة عمر[1]، وأما طريقة انتخاب الخليفة الجديد فتعتمد على جعل الشورى في عدد محصور، وقد حصر ستة من صحابة رسول الله ﷺ كلهم يصلحون لتولي الأمر، ولو أنهم يتفاوتون، وحدد لهم طريقة الانتخاب، ومدته، وعدد الأصوات الكافية لانتخاب الخليفة، وحدد الحكم في المجلس، والمرجّح إن تعادلت الأصوات، وأمر مجموعة من جنود الله لمراقبة سير الانتخابات في المجلس وعقاب مَن يخالف أمر الجماعة، ومنع الفوضى بحيث لا يسمحون لأحد يدخل، أو يسمع ما يدور في مجلس أهل الحل والعقد[2]، وهذا بيان ما أُجمل في الفقرات السابقة:

1 ـ العدد الذي حدده للشورى وأسماؤهم:

أما العدد فهو ستة وهم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهم جميعاً. وترك سعيد بن زيد وهو من العشرة المبشرين بالجنة، ولعله تركه لأنه من قبيلته بني عدي[3]، وكان عمر رضي الله عنه حريصاً على إبعاد الإمارة عن أقاربه، مع أن فيهم مَن هو أهل لها، فهو يبعد قريبه سعيد بن زيد عن قائمة المرشحين للخلافة[4].

2 ـ طريقة اختيار الخليفة:

أمرهم أن يجتمعوا في بيت أحدهم ويتشاوروا، وفيهم عبد الله بن عمر يحضر معهم مشيراً فقط، وليس له من الأمر شيء، ويصلي بالناس أثناء التشاور صهيب الرومي، وقال له، أنت أمير الصلاة في هذه الأيام الثلاثة حتى لا يولي إمامة الصلاة أحداً من الستة فيصبح هذا ترشيحاً من عمر له بالخلافة[5]، وأمر المقداد بن الأسود وأبا طلحة الأنصاري أن يرقبا سير الانتخابات[6].

(1) أوليات الفاروق، د. غالب عبد الكافي القرشي ص(122).
(2) أوليات الفاروق، د. غالب عبد الكافي القرشي ص(124).
(3) البداية والنهاية (4/ 142).
(4) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(98).
(5) الخلافة والخلفاء الراشدون للبهناوي، ص(213).
(6) أشهر مشاهير الإسلام في الحرب والسياسة، ص(648).

3 ـ مدة الانتخابات أو المشاورة:

حددها الفاروق رضي الله عنه بثلاثة أيام، وهي فترة كافية وإن زادوا عليها، فمعنى ذلك أن شقة الخلاف ستتسع، ولذلك قال لهم: لا يأتي اليوم الرابع إلا وعليكم أمير[1].

4 ـ عدد الأصوات الكافية لاختيار الخليفة:

أخرج ابن سعد بإسناد رجاله ثقات: أن عمر رضي الله عنه قال لصهيب: صلِّ بالناس ثلاثاً وليخل هؤلاء الرهط في بيت فإذا اجتمعوا على رجل، فمن خالفهم فاضربوا رأسه[2]، فعمر رضي الله عنه أمر بقتل مَن يريد أن يخالف هؤلاء الرهط ويشق عصا المسلمين ويفرق بينهم عملاً بقوله ﷺ: «**مَن أتاكم وَأَمرُكُمْ جمع على رجل منكم، يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه**»[3].

وما جاء في كتب التاريخ من أن عمر رضي الله عنه أمرهم بالاجتماع والتشاور، وحدد لهم أنه إذا اجتمع خمسة منهم على رجل، وأبى أحدهم، فليضرب رأسه بالسيف، وإن اجتمع أربعة ورضوا رجلاً منهم، وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما[4]، فهذه من الروايات التي لا تصح سنداً فهي من الغرائب، التي ساقها أبو مخنف ـ الإمامي الشيعي ـ مخالفاً فيها النصوص الصحيحة، وما عرف من سير الصحابة رضي الله عنهم، فما ذكر أبو مخنق من قول عمر لصهيب: وقم على رؤوسهم ـ أي: أهل الشورى ـ فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلاً وأبى واحد فاشدخ رأسه بالسيف، وإن اتفق أربعة فرضوا رجلاً منهم وأبى اثنان فاضرب رؤوسهما[5]، فهذا قول منكر، وكيف يقول عمر رضي الله عنه هذا وهو يعلم أنهم هم الصفوة من أصحاب رسول الله ﷺ، وهو الذي اختارهم لهذا الأمر لعلمه بفضلهم وقدرهم[6]، وقد ورد عن ابن سعد أن عمر قال للأنصار: أدخلوهم بيتاً ثلاثة أيام، فإن استقاموا وإلا

---

(1) الطبقات لابن سعد (3/ 364).

(2) الطبقات لابن سعد، (3/ 342).

(3) مسلم (3/ 1480).

(4) تاريخ الطبري (5/ 226).

(5) المصدر السابق.

(6) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، د. يحيى اليحيى، ص(175).

فادخلوا عليهم فاضربوا أعناقهم[1]. وهذه الرواية منقطعة وفي إسنادها (سماك بن حرب) وهو ضعيف وقد تغير بآخره[2].

5 ـ الحكم في حال الاختلاف:

لقد أوصى بأن يحضر عبد الله بن عمر معهم في المجلس، وأن ليس له من الأمر شيء، ولكن قال لهم: فإن رضي ثلاثة رجلاً منهم، وثلاثة رجلاً منهم، فحكِّموا عبد الله بن عمر، فأي الفريقين حكم له، فليختاروا رجلاً منهم، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف، ووصف عبد الرحمن بن عوف بأنه مسدَّد رشيد، فقال عنه: ونعم ذو الرأي عبد الرحمن بن عوف مسدَّد رشيد، له من الله حافظ، فاسمعوا منه[3].

6 ـ جماعة من جنود الله تراقب الاختيار وتمنع الفوضى:

طلب عمر أبا طلحة الأنصاري وقال له: يا أبا طلحة! إن الله ﷻ أعز الإسلام بكم، فاختر خمسين رجلاً من الأنصار، فاستحِثَّ هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلاً منهم[4]، وقال للمقداد بن الأسود: إذا وضعتموني في حفرتي، فاجمع هؤلاء الرهط في بيت حتى يختاروا رجلاً منهم[5].

7 ـ جواز تولية المفضول مع وجود الأفضل:

ومن فوائد قصة الشورى: جواز تولية المفضول مع وجود الأفضل، لأن عمر جعل الشورى في ستة أنفس مع علمه أن بعضهم كان أفضل من بعض، ويؤخذ هذا من سيرة عمر في أمرائه الذين كان يؤمرهم في البلاد حيث كان لا يراعي الفضل في الدين فقط، بل يضمُّ إليه مزيد المعرفة بالسياسة مع اجتناب ما يخالف الشرع منها، فاستخلف معاوية والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص مع وجود مَن هو أفضل من كلٍّ منهم في أمر الدين

(1) الطبقات لابن سعد (3/ 342).
(2) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص(176).
(3) تاريخ الطبري (5/ 325).
(4) تاريخ الطبري (5/ 225).
(5) تاريخ الطبري (5/ 225).

والعلم، كأبي الدرداء في الشام، وابن مسعود في الكوفة[1].

8 ـ جمع عمر بين التعيين وعدمه:

جمع عمر بين التعيين، كما فعل أبو بكر ـ أي تعيين المرشح ـ وبين عدم التعيين كما فعل الرسول ﷺ، فعيّن ستة وطلب منهم التشاور في الأمر[2].

9 ـ الشورى ليست بين الستة فقط:

عرف عمر: أن الشورى لن تكون بين الستة فقط، وإنما ستكون في أخذ رأي الناس في المدينة، فيمن يتولى الخلافة، حيث جعل لهم أمد ثلاثة أيام، فيمكنهم من المشاورة والمناظرة لتقع ولاية مَن يتولى بعده عن اتفاقٍ من معظم الموجودين حينئذ ببلده التي هي دار الهجرة، وبها معظم الصحابة، وكلُّ مَن كان ساكناً في بلد غيرها كان تبعاً لهم فيما يتفقون عليه، فما زالت المدينة حتى سنة 23هـ مجمع الصحابة، بل لأن كبار الصحابة فيها، حيث استبقاهم عمر بجانبه، ولم يأذن لهم بالهجرة إلى الأقاليم المفتوحة[3].

10 ـ أهل الشورى أعلى هيئة سياسية:

إن عمر رضي الله عنه أناط بأهل الشورى وحدهم اختيار الخليفة من بينهم، ومن المهم أن نشير أن أحداً من أهل الشورى لم يعارض هذا القرار الذي اتخذه عمر، كما أن أحداً من الصحابة الآخرين لم يثر أي اعتراض عليه، ذلك ما تدل عليه النصوص التي بين أيدينا، فنحن لا نعلم أن اقتراحاً آخر قد صدر عن أحد من الناس في ذلك العصر، أو أن معارضة ثارت حول أمر عمر خلال الساعات الأخيرة من حياته، أو بعد وفاته، وإنما رضي الناس كافة هذا التدبير، ورأوا فيه مصلحة لجماعة المسلمين، وفي وسعنا أن نقول: إن عمر قد أحدث هيئة سياسية عليا، مهمتها انتخاب رئيس الدولة، أو الخليفة، وهذا التنظيم الدستوري الجديد، الذي أبدعته عبقرية عمر لا يتعارض مع المبادىء الأساسية التي أقرّها الإسلام، ولاسيما فيما يتعلق بالشورى، لأن العبرة من حيث النتيجة للبيعة العامة التي تجرى في المسجد الجامع. وعلى هذا لا يتوجه السؤال الذي قد يرد

(1) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (2/ 97).

(2) المصدر السابق.

(3) المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي (2/ 97).

على بعض الأذهان وهو: مَن أعطى عمر هذا الحق؟ ما هو مستند عمر في هذا التدبير؟ ويكفي أن نعلم أن جماعة من المسلمين قد أقرت هذا التدبير، ورضيت به، ولم يسمع صوت اعتراض عليه، حتى نتأكد أن الإجماع ـ هو من مصادر التشريع ـ قد انعقد على صحته ونفاذه[1]، ولا ننسى: أن عمر خليفة راشد، كما ينبغي أن نؤكد على أن هذا المبدأ ـ أهل الشورى أعلى هيئة سياسية ـ قد أقرّه نظام الحكم في الإسلام في العهد الراشدي، كما أن الهيئة التي سمّاها عمر، تمتعت بمزايا لم يتمتع بها غيرها من جماعة المسلمين، وهذه المزايا منحت لها من الله، وبلّغها الرسول ﷺ؛ فلا يمكن عند المؤمنين أن يبلغ أحد من المسلمين مبلغ هؤلاء العشرة، من التقوى والأمانة[2].

هكذا ختم عمر رضي الله عنه حياته، ولم يشغله ما نزل به من البلاء، ولا سكرات الموت عن تدبير أمر المسلمين، وأرسى نظاماً صالحاً للشورى لم يسبقه إليه أحد، ولا يُشك أن أصل الشورى مقرر في القرآن الكريم والسنّة القولية والفعلية، وقد عمل بها رسول الله ﷺ وأبو بكر، ولم يكن عمر مبتدعاً بالنسبة للأصل، ولكن الذي عمله عمر هو تعيين الطريقة التي يُختار بها الخليفة، وحصر عدد معين جعلها فيهم، وهذا لم يفعله الرسول ﷺ، ولا الصدِّيق رضي الله عنه، بل أول مَن فعل ذلك عمر، ونعمَ ما فعل، فقد كانت أفضل الطرق المناسبة لحال الصحابة في ذلك الوقت[3].

ثانياً: وصية عمر رضي الله عنه للخليفة الذي بعده:

أوصى الفاروق عمر رضي الله عنه الخليفة الذي سيخلفه في قيادة الأمة بوصية مهمة قال فيها: أوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له، وأوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً أن تعرف لهم سابقتهم، وأوصيك بالأنصار خيراً، فاقبل من محسنهم، وتجاوز عن مسيئهم، وأوصيك بأهل الأمصار خيراً، فإنهم ردء العدو، وجباة الفيء، لا تحمل منهم إلا عن فضل منهم، وأوصيك بأهل البادية خيراً، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام أن تأخذ من حواشي أموالهم فتردها على فقرائهم، وأوصيك بأهل الذمة خيراً، أن تقاتل مَن وراءهم، ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدّوا ما عليهم للمؤمنين طوعاً، أو عن يد وهم صاغرون،

(1) نظام الحكم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، ظافر القاسمي (1/ 227، 228).
(2) المصدر نفسه (1/ 229).
(3) أوليات الفاروق، د. غالب عبد الكافي القرشي ص(127).

وأوصيك بتقوى الله، والحذر منه، ومخافة مقته أن يطلع منك على ريبة، وأوصيك أن تخشى الله في الناس، ولا تخشى الناس في الله، وأوصيك بالعدل في الرعية، والتفرغ لحوائجهم وثغورك، ولا تؤثر غنيهم على فقيرهم، فإن في ذلك بإذن الله سلامة لقلبك وحطاً لوزرك، وخيراً في عاقبة أمرك، حتى تفضي في ذلك إلى مَن يعرف سريرتك ويحول بينك وبين قلبك، وآمرك أن تشتد في أمر الله، وفي حدوده ومعاصيه على قريب الناس وبعيدهم، ثم لا تأخذك في أحدٍ الرأفة، حتى تنتهك منه مثل جرمه، واجعل الناس عندك سواء، لا تبال على مَن وجب الحق، ولا تأخذك في الله لومة لائم.

وإياك والمحاباة فيما ولاك الله مما أفاء على المؤمنين، فتجور وتظلم، وتحرم نفسك من ذلك ما قد وسّعه الله عليك، وقد أصبحت بمنزلة من منازل الدنيا والآخرة، فإن اقترفت لدنياك عدلاً وعفة عما بسط لك، اقترفت به إيماناً ورضواناً، وإن غلبك الهوى، اقترفت به غضب الله، وأوصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذّمة، وقد أوصيتك، ورخصتك ونصحتك، فابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة، واخترت من دلالتك ما كنت دالاً عليه نفسي وولدي، فإن عملت بالذي وعظتك، وانتهيت إلى الذي أمرتك أخذت منه نصيباً وافراً وحظاً وافياً، وإن لم تقبل ذلك، ولم يهمك، ولم تترك معاظم الأمور عند الذي يرضى به الله عنك، يكن ذلك بك انتقاصاً، ورأيك فيه مدخولاً، لأن الأهواء مشتركة.

ورأس الخطيئة إبليس: داع إلى كل مهلكة، وقد أضل القرون السالفة قبلك، فأوردهم النار وبئس الوِرد المورود، وبئس الثمن أن يكون حظ امرئ موالاة لعدو الله، الداعي إلى معاصيه، ثم اركب الحق، وخض إليه الغمرات، وكن واعظاً لنفسك، وأناشدك الله إلا ترحمت على جماعة المسلمين، وأجللت كبيرهم، ورحمت صغيرهم، ووقّرت عالمهم، ولا تضرَّ بهم فيذلوا، ولا تستأثر عليهم بالفيء فتغضبهم، ولا تحرمهم عطاياهم عند محلّها فتفقرهم، ولا تجمّرهم في البعوث فينقطع نسلهم، ولا يجعل المال دُولة بين الأغنياء منهم، ولا تغلق بابك دونهم، فيأكل قويهم ضعيفهم. هذه وصيتي إليك، وأشهد الله عليك، وأقرأ عليك السلام[1].

(1) الطبقات لابن سعد (3/ 339)؛ البيان والتبيين للجاحظ (2/ 46)؛ الكامل في التاريخ (2/ 210)؛ الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني، ص(171، 172).

هذه الوصية تدل على بعد نظر عمر في مسائل الحكم والإدارة، وتفصح عن نهج ونظام حكم وإدارة متكامل، فقد تضمنت الوصية أموراً غاية في الأهمية، فحق أن تكون وثيقة نفيسة، لما احتوته من قواعد ومبادئ أساسية للحكم متكاملة الجوانب الدينية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، يأتي في مقدمتها:

1 ـ الحرص على تقوى الله وخشيته:

أ ـ الوصية بالحرص الشديد على تقوى الله، والخشية منه في السر والعلن، في القول والعمل، لأن مَن اتقى الله وقاه، ومَن خشيه صانه وحماه (أوصيك بتقوى الله وحده لا شريك له) (وأوصيك بتقوى الله والحذر منه... وأوصيك أن تخشى الله).

ب ـ إقامة حدود الله على القريب والبعيد (لا تبال على مَن وجب الحق) (ولا تأخذك في الله لومة لائم) لأن حدود الله نصت عليها الشريعة فهي من الدِّين، ولأن الشريعة حجة على الناس وأعمالهم وأفعالهم تقاس بمقتضاها، وأن التغافل عنها إفساد للدين والمجتمع.

ج ـ الاستقامة (استقم كما أمرت) وهي من الضرورات الدينية والدنيوية التي يجب على الحاكم التحلي بها قولاً وعملاً أولاً ثم الرعية (كن واعظاً لنفسك) (وابتغ بذلك وجه الله والدار الآخرة).

2 ـ الناحية السياسية، وتضمنت:

أ ـ الالتزام بالعدل، لأنه أساس الحكم، ولأن إقامته بين الرعية، تحقّق للحكم قوة وهيبة ومتانة سياسية واجتماعية، وتزيد من هيبة واحترام الحاكم في نفوس الناس (وأوصيك بالعدل) (واجعل الناس عندك سواء).

ب ـ العناية بالمسلمين الأوائل من المهاجرين والأنصار، لسابقتهم في الإسلام، ولأن العقيدة وما أفرزته من نظام سياسي، قام على أكتافهم، فهم أهله وحملته وحماته (أوصيك بالمهاجرين الأولين خيراً، أن تعرف لهم سابقتهم، وأوصيك بالأنصار خيراً، فاقبل من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم).

3 ـ الناحية العسكرية، وتضمنت:

أ ـ الاهتمام بالجيش وإعداده إعداداً يتناسب وعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه لضمان أمن الدولة وسلامتها، والعناية بسد حاجات المقاتلين (التفرغ لحوائجهم وثغورهم).

ب ـ تجنب إبقاء المقاتلين لمدة طويلة في الثغور بعيداً عن عوائلهم وتلافياً لما قد يسببه ذلك من ملل وقلق وهبوط في المعنويات، فمن الضروري منحهم إجازات معلومة في أوقات معلومة يستريحون فيها ويجددون نشاطهم خلالها من جهة، ويعودون إلى عوائلهم لكي لا ينقطع نسلهم من جهة ثانية (ولا تجمِّرهم في الثغور فينقطع نسلهم) (وأوصيك بأهل الأمصار خيراً، فإنهم ردء العدو).

ج ـ إعطاء كل مقاتل ما يستحقه من فيء وعطاء، وذلك لضمان مورد ثابت له ولعائلته يدفعه إلى الجهاد، ويصرف عنه التفكير في شؤونه المالية (ولا تستأثر عليهم بالفيء فتغضبهم ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها فتفقرهم).

4 ـ الناحية الاقتصادية والمالية، وتضمنت:

أ ـ العناية بتوزيع الأموال بين الناس بالعدل والقسطاس المستقيم، وتلافي كل ما من شأنه تجميع الأموال عند طبقة منهم دون أخرى (ولا تجعل الأموال دُولة بين الأغنياء منهم).

ب ـ عدم تكليف أهل الذمة فوق طاقتهم إن هم أدوا ما عليهم من التزامات مالية للدولة (ولا تكلفهم فوق طاقتهم إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين).

ج ـ ضمان الحقوق المالية للناس وعدم التفريط بها، وتجنب فرض ما لا طاقة لهم به (ولا تحمل منهم إلا عن فضل منهم) (أن تأخذ حواشي أموالهم فتردها على فقرائهم)[1].

5 ـ الناحية الاجتماعية، وتضمنت:

أ ـ الاهتمام بالرعية، والعمل على تفقد أمورهم وسد احتياجاتهم وإعطاء حقوقهم

(1) الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب للعاني، ص(174، 175).

من فيء وعطاء (ولا تحرمهم عطاياهم عند محلها).

ب ـ اجتناب الأثرة والمحاباة واتباع الهوى، لما فيها من أخطار تقود إلى انحراف الراعي، وتؤدي إلى فساد المجتمع واضطراب علاقاته الإنسانية (وإياك والأثرة والمحاباة فيما ولاك الله) (ولا تؤثر غنيّهم على فقيرهم).

ج ـ احترام الرعية وتوقيرها والتواضع لها، صغيرها وكبيرها، لما في ذلك من سمو في العلاقات الاجتماعية، تؤدي إلى زيادة تلاحم الرعية بقائدها وحبها له (وأناشدك الله إلا ترحمت على جماعة المسلمين، وأجللت كبيرهم ورحمت صغيرهم ووقّرت عالمهم).

د ـ الانفتاح على الرعية، وذلك بسماع شكاواهم وإنصاف بعضهم من بعض، وبعكسه تضطرب العلاقات بينهم ويعم الارتباك في المجتمع (ولا تغلق بابك دونهم، فيأكل قويّهم ضعيفهم).

هـ ـ اتباع الحق، والحرص على تحقيقه في المجتمع وفي كل الظروف والأحوال، لكونه ضرورة اجتماعية لابد من تحقيقها بين الناس، (ثم اركب الحق، وخض إليه الغمرات) (واجعل الناس عندك سواء، لا تبال على مَن وجب الحق).

و ـ اجتناب الظلم بكل صوره وأشكاله، خاصة مع أهل الذمة، لأن العدل مطلوب إقامته بين جميع رعايا الدولة مسلمين وذميين، لينعم الجميع بعدل الإسلام (وأصيك ألا ترخص لنفسك ولا لغيرك في ظلم أهل الذمة).

ز ـ الاهتمام بأهل البادية ورعايتهم والعناية بهم (وأوصيك بأهل البادية خيراً، فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام)[1].

ح ـ وكان من ضمن وصية عمر لمن بعده: ألا يقر لي عاملٌ أكثر من سنة، وأقروا الأشعري أربع سنين[2].

(1) الخليفة الفاروق للعاني، ص(173 ـ 175).

(2) عصر الخلافة الراشدة، ص(102).

ثالثاً: منهج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في إدارة الشورى:

1 ـ اجتماع الرهط للمشاورة:

لم يكد يفرغ الناس من دفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى أسرع رهط الشورى وأعضاء مجلس الدولة الأعلى إلى الاجتماع في بيت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وقيل: إنهم اجتمعوا في بيت فاطمة بنت قيس الفهرية أخت الضحاك بن قيس؛ ليقضوا في أعظم قضية عرضت في حياة المسلمين ـ بعد وفاة عمر ـ وقد تكلم القوم وبسطوا آراءهم واهتدوا بتوفيق الله إلى كلمة سواء رضيها الخاصة، والكافة من المسلمين[1].

2 ـ عبد الرحمن يدعو إلى التنازل:

عندما اجتمع أهل الشورى قال لهم عبد الرحمن بن عوف: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم. فقال الزبير: جعلت أمري إلى عليّ[2]، وقال طلحة: جعلت أمري إلى عثمان. وقال سعد: جعلت أمري إلى عبد الرحمن بن عوف. وأصبح المرشحون الثلاثة: عليّ بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف. فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه، فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن بن عوف: أفتجعلونه إليّ والله عليَّ أن لا آلو عن أفضلكما، قالا: نعم[3].

3 ـ تفويض ابن عوف بإدارة عملية الشورى:

بدأ عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه اتصالاته ومشاوراته فور انتهاء اجتماع المرشحين الستة صباح يوم الأحد، واستمرت مشاوراته واتصالاته ثلاثة أيام كاملة، حتى فجر يوم الأربعاء الرابع من محرم، وهو موعد انتهاء المهلة التي حددها لهم عمر، وبدأ عبد الرحمن بعلي بن أبي طالب، فقال له: إن لم أبايعك فأشر عليّ، فمن ترشح للخلافة؟ قال علي: عثمان بن عفان، وذهب عبد الرحمن إلى عثمان وقال له: إن لم

(1) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص(62، 63).
(2) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي رقم (3700).
(3) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي رقم (3700).

أبايعك، فمن ترشح للخلافة؟ فقال عثمان: علي بن أبي طالب... وذهب ابن عوف بعد ذلك إلى الصحابة الآخرين واستشارهم، وكان يشاور كل مَن يلقاه في المدينة من كبار الصحابة وأشرافهم، ومن أمراء الأجناد، ومن يأتي للمدينة، وشملت مشاورته النساء في خدورهن، وقد أبدَيْنَ رأيهن، كما شملت الصبيان والعبيد في المدينة، وكانت نتيجة مشاورات عبد الرحمن بن عوف، أن معظم المسلمين كانوا يشيرون بعثمان بن عفان، ومنهم مَن كان يشير بعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وفي منتصف ليلة الأربعاء، ذهب عبد الرحمن بن عوف إلى بيت ابن أخته: المسور بن مخرمة، فطرق البيت، فوجد المسور نائماً[1]، فضرب الباب حتى استيقظ فقال: أراك نائماً فوالله ما اكتحلت هذه الليلة بكبير نوم، انطلق فادع الزبير وسعداً، فدعوتهما له: فشاورهما ثم دعاني فقال: ادع لي عليًّا فدعوته فناجاه حتى ابهارّ[2] الليل، ثم قام عليٌّ من عنده... ثم قال: ادع لي عثمان، فدعوته فناجاه حتى فرق بينهما المؤذن بالصبح[3].

4 ـ الاتفاق على بيعة عثمان:

وبعد صلاة صبح يوم البيعة (اليوم الأخير من شهر ذي الحجة 23هـ/ 6 نوفمبر 644م) وكان صهيب الرومي الإمام، إذ أقبل عبد الرحمن بن عوف، وقد اعتمَّ بالعمامة التي عممه بها رسول الله ﷺ؛ وكان قد اجتمع رجال الشورى عند المنبر، أرسل إلى مَن كان حاضراً من المهاجرين والأنصار وأمراء الأجناد، منهم: معاوية أمير الشام، وعمير بن سعد أمير حمص، وعمرو بن العاص أمير مصر، وكانوا وافوا تلك الحجَّة مع عمر وصاحبوه إلى المدينة[4] وجاء في رواية البخاري: ... فلما صلى للناس الصبح واجتمع أولئك الرّهط عند المنبر، فأرسل إلى مَن كان حاضراً من المهاجرين والأنصار، وأرسل إلى أمراء الأجناد وكانوا وافوا تلك الحجة مع عمر، فلمّا اجتمعوا تشهد عبد الرحمن ثمّ قال: أمّا بعد، يا عليُّ إنّي قد نظرت في أمر الناس فلم أرهم يعدلون

(1) الخلفاء الراشدون للخالدي، ص(106، 107).

(2) ابهارّ: أي انتصف.

(3) البخاري، كتاب الأحكام رقم (7207).

(4) شهيد الدار عثمان بن عفان، أحمد الخروف، ص(37).

بعثمان، فلا تجعلن على نفسك سبيلاً، فقال[1]: أبايعك على سنة الله ورسوله والخليفتين من بعده، فبايعه عبد الرحمن وبايعه الناس المهاجرون والأنصار وأمراء الأجناد والمسلمون[2]، وجاء في رواية صاحب التمهيد والبيان: أن علي بن أبي طالب أول مَن بايع بعد عبد الرحمن بن عوف[3].

5 ـ حكمة عبد الرحمن بن عوف في تنفيذ خطة الشورى:

نفذّ عبد الرحمن بن عوف خطة الشورى بما دل على شرف عقله، ونبل نفسه، وإيثاره مصلحة المسلمين العامة على مصلحته الخاصة ونفعه الفردي، وترك عن طواعية ورضا أعظم منصب يطمع إليه إنسان في الدنيا، ليجمع كلمة المسلمين؛ وحقق أول مظهر من مظاهر الشورى المنظمة في اختيار مَن يجلس على عرش الخلافة، ويسوس أمور المسلمين؛ فهو قد اصطنع من الأناة والصبر والحزم وحسن التدبير ما كفل له النجاح في أداء مهمته العظمى، وقد كانت الخطوات التي اتخذها كالآتي:

أ ـ بسط برنامجه في أول جلسة عقدها مجلس الشورى في دائرة الزمن الذي حدده لهم عمر؛ وبذلك أمكنه أن يحمل جميع أعضاء مجلس الشورى على أن يُدلوا برأيهم؛ فعرف مذهب كل واحد منهم ومرماه، فسار في طريقه على بيِّنة من أمره.

ب ـ خلع نفسه، وتنازل عن حقه في الخلافة ليدفع الظنون ويتمسك بعروة الثِّقة الوثقى.

ج ـ أخذ في تعرُّف نهاية ما يصبو إليه كل واحد من أصحابه وشركائه في الشورى، فلم يزل يقلب وجوه الرأي معهم حتى انتهى إلى شبه انتخاب جزئي، فاز فيه عثمان برأي سعد بن أبي وقاص، ورأي الزبير بن العوام، فلاحت له أغلبية آراء الأعضاء الحاضرين معه.

د ـ عمد إلى معرفة كلٍّ واحد من الإمامين: عثمان، وعليٍّ في صاحبه بالنسبة إلى

(1) قوله: فقال أي: عبد الرحمن مخاطباً عثمان.

(2) البخاري، كتاب الأحكام رقم (7207).

(3) التمهيد والبيان، ص26.

وزنه من سائر الرهط الذي رشحهم عمر، فعرف من كل واحد منهما: أنه لا يعدل صاحبه أحداً إذا فاته الأمر.

هـ - أخذ في تعرف رأي من وراء مجلس الشورى من خاصة الأمة وذوي رأيها، ثم من عامتها وضعفائها، فرأى أن معظم الناس لا يعدلون أحداً بعثمان، فبايع له، وبايعه عامة الناس[1].

لقد تمكن عبد الرحمن بن عوف بكياسته، وأمانته، واستقامته، ونسيانه نفسه بالتخلي عن الطمع في الخلافة، والزهد بأعلى منصب في الدولة، أن يجتاز هذه المحنة، وقاد ركب الشورى بمهارة وتجرد، مما يستحق أعظم التقدير[2].

قال الذهبي: ومن أفضل أعمال عبد الرحمن عزلُه نفسه من الأمر وقت الشورى، واختياره للأمة مَن أشار به أهل الحل والعقد، فنهض في ذلك أتم نهوض على جمع الأمة على عثمان، ولو كان محابياً فيها، لأخذها لنفسه، أو لولّاها ابن عمه وأقرب الجماعة إليه سعد بن أبي وقاص[3].

وبهذا تحققت صورة أخرى من صور الشورى في عهد الخلفاء الراشدين: وهي الاستخلاف عن طريق مجلس الشورى، ليعيِّنوا أحدهم بعد أخذ المشورة العامة، ثم البيعة العامة[4].

رابعاً: أباطيل إماميّة دست في قصة الشورى:

هناك أباطيل كثيرة وأكاذيب للأعداء دُسّت في التاريخ الإسلامي، منها في قصة الشورى وتولية عثمان الخلافة، وقد تلقفها المستشرقون وقاموا بتوسيع نشرها، وتأثر بها الكثير من المؤرخين والمفكرين المحدثين، ولم يمحصوا الروايات ويحققوا في سندها ومتنها، فانتشرت بين المسلمين.

لقد وردت روايات باطلة حول قصة الشورى وتولية عثمان بن عفان الخلافة،

(1) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص(70، 71).
(2) مجلة البحوث الإسلامية العدد (10)، ص(255).
(3) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي (1/ 86).
(4) دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة، ص(278).

ودست فيها الأباطيل والأكاذيب، وألف جماعة منهم كتباً خاصة، فقد ألف أبو مخنف كتاب الشورى، وكذلك ابن عقدة، وابن بابويه[1]، ونقل ابن سعد تسع روايات من طريق الواقدي في خبر الشورى وبيعة عثمان وتاريخ توليه للخلافة[2]، ورواية من طريق عبيد الله بن موسى تضمنت مقتل عمر وحصره للشورى في الستة ووصيته لكلٍّ من علي وعثمان إذا تولى أحدهما أمر الخلافة، ووصيته لصهيب في هذا الأمر[3].

وقد نقل البلاذري خبر الشورى وبيعة عثمان عن أبي مخنف[4]، وعن هشام الكلبي منها ما نقله عن أبي مخنف ومنها تفرد به[5]، وعن الواقدي[6]، وعن عبيد الله بن موسى[7]، واعتمد الطبري في هذه القصة على عدة روايات منها رواية أبي مخنف[8]، ونقل ابن أبي الحديد بعض أحداث قصة الشورى من طريق أحمد بن عبد العزيز الجوهري[9]، وأشار إلى نقله عن كتاب (الشورى) للواقدي[10]، وقد تضمنت الروايات الشيعية عدة أمور مدسوسة ليس لها دليل من الصحة وهي:

1 ـ اتهام الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين:

اتُهمت الصحابة بالمحاباة في أمر المسلمين، وعدم رضا علي بأن يقوم عبد الرحمن باختيار الخليفة، فقد ورد عند أبي مخنف وهشام الكلبي عن أبيه وأحمد الجوهري: أن عمر جعل ترجيح الكفتين إذا تساوتا بعبد الرحمن بن عوف، وأن علياً أحس بأن الخلافة ذهبت منه، لأن عبد الرحمن سيقدم عثمان للمصاهرة التي بينهما[11]، وقد نفى ابن تيمية

(1) الذريعة إلى تصانيف الشيعة (14/ 246).
(2) الطبقات الكبرى لابن سعد، (3/ 63)، (3/ 67).
(3) المصدر السابق (3/ 340).
(4) أنساب الأشراف، البلاذري (5/ 18، 19).
(5) المصدر السابق.
(6) المصدر السابق.
(7) أنساب الأشراف، للبلاذري (5/ 6).
(8) أثر التشيع على الروايات التاريخية، د. عبد العزيز نور، ص(321) وهو العمدة في هذه الفقرة.
(9) شرح نهج البلاغة (9/ 49 ـ 58).
(10) المصدر السابق (9/ 15).
(11) أثر التشيع على الروايات التاريخية، ص(322).

أي ارتباط في النسب القريب بين عثمان وعبد الرحمن، فقال: فإن عبد الرحمن ليس أخاً لعثمان ولا ابن عمه ولا من قبيلته أصلاً، بل هذا من بني زهرة وهذا من بني أمية، وبنو زهرة إلى بني هاشم أكثر ميلاً منهم إلى بني أمية، فإن بني زهرة أخوال النبي ﷺ، ومنهم عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص الذي قال له النبي ﷺ: «**هذا خالي، فليرني امرؤ خاله**»[1]، فإن النبي ﷺ لم يؤاخ بين مهاجري ومهاجري، ولا بين أنصاري وأنصاري، وإنما آخى بين المهاجرين والأنصار، فآخى بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع الأنصاري[2]، وحديثه مشهور ثابت في الصحاح وغيرها، يعرفه أهل العلم بذلك[3].

وقد بنت الروايات الشيعيّة محاباة عبد الرحمن لعثمان للمصاهرة التي كانت بينهما، متناسية أن قوة النسب أقوى من المصاهرة من جهة، ومن جهة أخرى تناسوا طبيعة العلاقة بين المؤمنين في الجيل الأول وأنها لا تقوم على نسب ولا مصاهرة، وأما كيفية المصاهرة التي كانت بين عبد الرحمن وعثمان، فهي أن عبد الرحمن تزوّج أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط أخت الوليد[4].

2 ـ حزب أموي وحزب هاشمي:

أشارت رواية أبي مخنف إلى وقوع مشادة بين بني هاشم وبني أمية أثناء المبايعة، وهذا غير صحيح، ولم يرد ذلك برواية صحيحة ولا ضعيفة[5]، وقد انساق بعض المؤرخين خلف بعض الروايات من هنا وهناك وبنوا تحليلاتهم الخاطئة على تلك الروايات، فصوَّروا تشاور أصحاب الرسول ﷺ في تحديد الخليفة الجديد بصورة الخلاف العشائري، وأن الناس قد انقسموا إلى حزبين: حزب أموي وحزب هاشمي، وهو تصور موهوم، واستنتاج مردود لا دليل عليه، إذ ليس نابعاً من ذلك الجو الذي كان يعيشه أصحاب رسول الله حينما كان يقف المهاجري مع الأنصاري ضد أبيه وأخيه وابن عمّه وبني عشيرته، وليس نابعاً من تصور هؤلاء الصحب وهم يضحون بكل شيء من

(1) صحيح سنن الترمذي (3/ 220) رقم (4018).
(2) البخاري، كتاب مناقب الأنصار رقم (3780).
(3) منهاج السنّة النبوية لابن تيمية (6/ 271، 272).
(4) الطبقات الكبرى (3/ 127).
(5) مرويات أبي مخنف في تاريخ الطبري، ص (177، 178).

حطام الدنيا في سبيل أن يسلم لهم دينهم، ولا من المعرفة الصحيحة لهؤلاء النخبة من المبشرين بالجنة، فالأحداث الكثيرة التي رويت عن هؤلاء تثبت أن هؤلاء كانوا أكبر بكثير من أن ينطلقوا من هذه الزاوية الضيقة في معالجة أمورهم، فليست القضية قضية تمثيل عائلي أو عشائري، فهم أهل شورى لمكانتهم في الإسلام[1].

3 ـ أقوال نسبت زوراً وبهتاناً لعلي ﷺ:

قال ابن كثير: وما يذكره كثير من المؤرخين كابن جرير وغيره عن رجال لا يعرفون أن عليًّا قال لعبد الرحمن خدعتني، وإنك إنما وليته لأنّه صهرك وليشاورك كل يوم في شأنه، وأنه تلكّأ حتى قال عبد الرحمن بن عوف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [الفتح: 10]، إلى غير ذلك من الأخبار المخالفة لما ثبت في الصِّحاح، فهي مردودةٌ على قائليها، وناقليها، والله أعلم، والمظنون من الصَّحابة خلاف ما يتوهَّم كثيرٌ من الإماميّة، وأغبياء القصَّاص الذين لا تمييز عندهم بين صحيح الأخبار، وضعيفها، ومستقيمها، وسقيمها، ومبادها، وقويمها، والله الموفق للصَّواب[2].

4 ـ اتهام عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة:

وقد ذكر أبو مخنف في روايته في قضية الشورى عن عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة أنهما جلسا عند الباب، ورد سعد عليهما، فهذا يستغرب من رعاع الناس فضلاً عن الصحابة الكرام، وكيف يقول سعد لهما تريدان أن تقولا: حضرنا وكنا من أهل الشورى وقد علم الناس أهل الشورى بأعيانهم واستفاض ذلك عندهم. وفي الحقيقة أن رواية أبي مخنف يناقض بعضها بعضاً، وهي واضحة لمن تدبرها وقارنها بالأصول الصحيحة، وغرائبها أشهر من ذكرها. وقد أشار الدكتور يحيى اليحيى إلى نماذج وأمثلة تكفي لإسقاط هذه الرواية وعدم الاعتبار بها[3]. هذه بعض الإشارات العابرة ذكرتها للتنبيه والتحذير من تلك السموم المبثوثة في تراثنا التاريخي، والموروث الثقافي للأمة، فقد

(1) الخلفاء الراشدون، أمين القضاة ص(78، 79).

(2) البداية والنهاية (7/ 152).

(3) مرويات أبي مخنف، ص(179).

أثرت في رجال الفكر والقلم والتاريخ.

خامساً: أحقية خلافة عثمان بن عفان ﷺ:

لا يشكُّ مؤمن في أحقية خلافة عثمان ﷺ وصحتها، وأنه لا مطعن فيها لأحد إلا ممن أصيب قلبه بزيغ، فنقم على أصحاب رسول الله ﷺ؛ بسبب ما حل في قلبه من الغيظ منهم، وهذا لم يحصل إلا من الفرق الرافضة الذين جعلوا رأس مالهم في هذه الحياة الدنيا هو سب الصحابة ﷺ وبغضهم، ولا قيمة لما يوجهونه من المطاعن على خلافة الثلاثة ﷺ لظهور بطلانه، وأنها افتراءات لا تصح، وقد جاء في جملة من النصوص القطعية الصحيحة والآثار الشهيرة التنبيه والإيماء إلى أحقية خلافة عثمان بن عفان ﷺ ومن ذلك[1]:

1 ـ قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: 55]. وجه الاستدلال بهذه الآية على أحقية خلافة عثمان ﷺ أنه من الذين استخلفهم الله في الأرض ومكّن لهم فيها، وسار في الناس أيام خلافته سيرة حسنة حيث حكم فيهم بالعدل وأقام الصلاة وآتى الزكاة وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فهذه الآية تضمنت الإشارة إلى أحقية خلافته ﷺ[2].

2 ـ قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [الفتح: 16]. وجه الاستدلال بهذه الآية على أحقية خلافة عثمان ﷺ هو أن الداعي لهؤلاء الأعراب داع يدعوهم بعد نبيه ﷺ وهو أبو بكر وعمر وعثمان ﷺ. فأبو بكر دعاهم إلى قتال الروم والفرس والترك، فوجبت طاعة هؤلاء الثلاثة ﷺ بنص القرآن، وإذا وجبت طاعتهم صحت خلافتهم[3]، ﷺ وأرضاهم.

---

(1) عقيدة أهل السنّة في الصحابة (2/ 656).

(2) عقيدة أهل السنّة في الصحابة (2/ 656).

(3) الفصل في الملل والأهواء والنحل (4/ 109 ـ 110).

3 - عن أبي موسى رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ دخل حائطاً، وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجل يستأذن فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة**» فإذا هو أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة**»، فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذن فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه**» فإذا هو عثمان بن عفان[1]. هذا الحديث فيه إشارة إلى ترتيب الثلاثة في الخلافة، وإخبار عن بلوى تصيب عثمان، وهذه البلوى حصلت له رضي الله عنه وهي حصاره يوم الدار حتى قتل آنذاك مظلوماً. فالحديث عَلَمٌ من أعلام النبوة وفيه الإشارة إلى كونه شهيداً رضي الله عنه وأرضاه[2].

4 - روى أبو داود رحمه الله بإسناده إلى جابر بن عبد الله: أنه كان يُحَدِّث أن رسول الله ﷺ قال: «**أُرِي الليلةَ رجلٌ صالح: أن أبا بكر نِيطَ برسول الله ﷺ، ونيط عمرُ بأبي بكر، ونيط عثمانُ بعمرَ**». قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ، وأما تَنَوُّط بعضِهِم ببعض، فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه ﷺ[3].

5 - وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنها ستكون فتنة واختلاف ـ أو اختلاف وفتنة**» قال: قلنا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: «**عليكم بالأمير وأصحابه**» وأشار إلى عثمان[4].

وهذا الحديث فيه معجزة ظاهرة للنبي ﷺ الدالة على صدق نبوته، حيث أخبر بالفتنة التي حصلت أيام خلافة عثمان، وكانت كما أخبر، وتضمن الحديث التنبيه على أحقية خلافة عثمان إذ أنه ﷺ أرشد الناس إلى أن يلزموه وأخبر بأنه حين وقوع الفتنة والاختلاف فالحقُّ مع أمير المؤمنين، أمرهم بالالتفاف حوله وملازمته لكونه على الحق، والخارجون عليه على الباطل أهل زيغ وهوى، وقد شهد له الرسول ﷺ بأنه سيكون مستمراً على الهدى لا ينفك عنه[5].

---

(1) البخاري رقم (3695).

(2) عقيدة أهل السنة والجماعة (2/ 657).

(3) سنن أبي داود، رقم (4636)، (2/ 513).

(4) المستدرك (3/ 99) ثم قال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(5) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة (2/ 660).

6 ـ روى أبو عيسى الترمذي بإسناده إلى عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**يا عثمان إنه لعل الله يُقَمِّصُك قميصاً فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم**»[1]. ففي هذا الحديث الإشارة إلى الخلافة، واستعارة القميص لها وذكر الخلع ترشيح أي: سيجعلك الله خليفة، فإن قصد الناس عزلك، فلا تعزل نفسك عنها لأجلهم لكونك على الحق، وكونهم على الباطل[2].

7 ـ وروى الترمذي بإسناده إلى أبي سهلة قال: قال لي عثمان يوم الدار: إن رسول الله ﷺ قد عهد إليّ عهداً فأنا صابر عليه[3]. فقوله: قد عهد إليّ عهداً، أي: أوصاني أن لا أخلع بقوله: «**وإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم**»، فأنا صابر عليه، أي: على ذلك العهد[4].

8 ـ وروى أبو عبد الله الحاكم بإسناده إلى أبي سهلة مولى عثمان عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «**ادعوا لي ـ أو ليت عندي ـ رجلاً من أصحابي**». قالت: قلت: أبو بكر. قال «**لا**». قلت: عمر. قال: «**لا**». قلت: ابن عمك عليّ. قال: «**لا**». قلت: فعثمان: قال: «**نعم**». قالت: فجاء عثمان فقال: «**قومي**». قال: فجعل النبي ﷺ يُسِرُّ إلى عثمان ولون عثمان يتغير. قال: فلما كان يوم الدار قلنا: ألا تقاتل؟ قال: لا، إن رسول الله ﷺ عهد إليّ أمراً فأنا صابر نفسي عليه[5].

فهذا الحديث والذي قبله فيهما دلالة على صحة خلافته، فمن أنكر خلافته ولم يره من أهل الجنة والشهداء وأساء الأدب فيه باللسان أو الجنان، فهو خارج عن دائرة الإيمان وحيز الإسلام[6].

9 ـ ومما دل على صحة خلافته وإمامته ما رواه البخاري بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما

(1) فضائل الصحابة (1/ 613) إسناده صحيح.

(2) الدين الخالص، محمد صديق حسن القنوجي، البخاري (3/ 446).

(3) فضائل الصحابة (1/ 605) إسناده صحيح؛ الترمذي (5/ 295).

(4) تحفة الأحوذي، محمد عبد الرحمن المباركفوري (10/ 209).

(5) فضائل الصحابة (1/ 605) إسناده صحيح؛ المستدرك (3/ 99) حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(6) الدين الخالص (3/ 446).

قال: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم[1]، وفي هذا إشارة إلى أن الله ـ تعالى ـ ألهمهم وألقى في روعهم ما كان صانعه بعد نبيه ﷺ من أمر ترتيب الخلافة[2].

قال ابن تيمية: فهذا إخبار عما كان عليه الصحابة على عهد النبي ﷺ من تفضيل أبي بكر، ثم عمر، ثم عثمان. وقد روي: أن ذلك كان يبلغ النبي ﷺ فلا ينكره، وحينئذ فيكون هذا التفضيل ثابتاً بالنص، وإلا فيكون ثابتاً بما ظهر بين المهاجرين والأنصار على عهد النبي ﷺ من غير نكير، وبما ظهر لما توفي عمر، فإنهم كلهم بايعوا عثمان بن عفان من غير رغبة ولا رهبة، ولم ينكر هذه الولاية منكر منهم[3].

وكل ما تقدم ذكره من النصوص في هذه الفقرة أدلة قوية كلها فيها الإشارة والتنبيه إلى أحقية خلافة عثمان رضي الله عنه وأنه لا مرية في ذلك ولا نزاع عند المتمسكين بالكتاب، والسنّة، والذين هم أسعد الناس بالعمل بهما وهم أهل السنّة والجماعة، فيجب على كل مسلم أن يعتقد أحقية عثمان رضي الله عنه وأن يسلم تسليماً كاملاً للنصوص الدالة على ذلك[4].

سادساً: انعقاد الإجماع على خلافة عثمان:

أجمع أصحاب رسول الله ﷺ، وكذا مَن جاء بعدهم ممن سلك سبيلهم من أهل السنّة والجماعة، على أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أحق الناس بخلافة النبوة بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم يخالف أو يعارض في هذا أحد، بل الجميع سلَّم له بذلك لكونه أفضل خلق الله على الإطلاق بعد الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقد نقل الإجماع على أحقية عثمان رضي الله عنه بالخلافة بعد عمر رضي الله عنه طائفة من أهل العلم بالحديث وغيرهم، ومن تلك النقول[5]:

1 ـ ما رواه ابن أبي شيبة بإسناده إلى حارثة بن مضرب، قال: حججت في إمارة

(1) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي رقم (3698).

(2) عقيدة أهل السنة (2/ 664).

(3) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (3/ 165).

(4) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، د. ناصر بن علي عايض حسن الشيخ (2/ 664).

(5) المصدر السابق.

عمر، فلم يكونوا يشكون أن الخلافة من بعده لعثمان[1].

2 ـ وروى أبو نعيم الأصبهاني بإسناده إلى حذيفة ﷺ قال: إني لواقف مع عمر تمس ركبتي ركبته فقال: مَن ترى قومك يؤمّرون؟ قال: إن الناس قد أسندوا أمرهم إلى ابن عفان[2].

3 ـ ونقل الحافظ الذهبي عن شريك بن عبد الله القاضي أنه قال: قبض النبي ﷺ فاستخلف المسلمون أبا بكر، فلو علموا أن فيهم أحداً أفضل منه كانوا قد غشّوا، ثم استخلف أبو بكر عمر، فقام بما قام به من الحق والعدل، فلما احتضر جعل الأمر شورى بين ستة، فاجتمعوا على عثمان، فلو علموا أن فيهم أفضل منه كانوا قد غشونا[3].

فهذه النقول فيها بيان واضح في أن أصحاب النبي ﷺ قد اشتهر بينهم أولوية عثمان بالخلافة، وما زال عمر بن الخطاب ﷺ حياً، لما سبق من علمهم ببعض النصوص المشيرة إلى أن ترتيبه سيكون في خلافة النبوة بعد الفاروق ﷺ، ولعلمهم أنه أفضل الناس على الإطلاق بعد أبي بكر وعمر ﷺ[4].

4 ـ روى ابن سعد بإسناده إلى النزال بن سبرة ﷺ قال: قال عبد الله بن مسعود حين استُخلف عثمان: استخلفنا خير مَن بقي ولم نألُ ـ أي لم نقصر في اختيار الأفضل ـ وفي رواية أخرى قال: أمَّرنا خير مَن بقي ولم نأل[5].

5 ـ وقال الحسن بن محمد الزعفراني: سمعت الشافعي يقول: أجمع الناس على خلافة أبي بكر، واستخلف أبو بكر عمر، ثم جعل الشورى إلى ستة على أن يولّوها واحداً فولّوها عثمان رضي الله عنهم أجمعين[6]، وقد نقل أبو حامد محمد المقدسي كلاماً عزاه للإمام الشافعي رحمه الله أنه قال: واعلموا أن الإمام

(1) المصنف (14/ 588).
(2) كتاب الإمامة والرد على الرافضة، ص(306).
(3) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن عثمان الذهبي (2/ 273).
(4) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام، د. ناصر بن علي عايض (2/ 666).
(5) الطبقات الكبرى (3/ 63).
(6) مناقب الشافعي للبيهقي (1/ 434، 435).

الحق بعد عمر رضي الله عنه عثمان رضي الله عنه بجعل أهل الشورى اختيار الإمامة إلى عبد الرحمن بن عوف، واختياره لعثمان رضي الله عنه، وإجماع الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وصوبوا رأيه فيما فعله، وأقام الناس على محجة الحق وبسط العدل إلى أن استشهد رضي الله عنه[1].

6 ـ وذكر ابن تيمية عن الإمام أحمد أنه قال: لم يجتمعوا على بيعة أحد ما اجتمعوا على بيعة عثمان[2].

7 ـ وقال أبو الحسن الأشعري: وثبتت إمامة عثمان رضي الله عنه بعد عمر بعقد مَن عقد له الإمامة من أصحاب الشورى الذين نص عليهم عمر، فاختاروه ورضوا بإمامته وأجمعوا على فضله وعدله[3].

8 ـ وقال عثمان الصابوني مبيناً عقيدة السلف وأصحاب الحديث في ترتيب الخلافة بعد أن ذكر أنهم يقولون أولاً بخلافة الصدِّيق ثم عمر قال: ثم خلافة عثمان رضي الله عنه بإجماع أهل الشورى وإجماع الأصحاب كافة، ورضاهم به حتى جعل الأمر إليه[4].

9 ـ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمة الله تعالى عليه وعلى جميع العلماء المصلحين ـ: وجميع المسلمين بايعوا عثمان بن عفان، لم يتخلف عن بيعته أحد... فلما بايعه ذوو الشوكة والقدرة صار إماماً، وإلا فلو قُدِّر أن عبد الرحمن بايعه ولم يبايعه علي ولا غيره من الصحابة أهل الشوكة لم يصر إماماً، ولكن عمر لما جعلها شورى في ستة: عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف، ثم إنه خرج طلحة والزبير وسعد باختيارهم، وبقي عثمان وعلي وعبد الرحمن لا يتولى ويولي أحد الرجلين، وأقام عبد الرحمن ثلاثاً حلف أنه لم يغمض فيها بكبير نوم يشاور السابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان، يشاور أمراء الأجناد، وكانوا قد حجوا مع عمر ذلك العام، فأشار عليه

(1) الرد على الرافضة، ص(319، 320).
(2) منهاج السنة (3/ 166)؛ السنة للخلال، ص(320).
(3) الإبانة عن أصول الديانة، ص(68).
(4) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ضمن الرسالة المنيرية (1/ 139).

المسلمون بولاية عثمان، وذكر أنهم كلهم قدَّموا عثمان، فبايعوه لا عن رغبة أعطاهم إياها، ولا عن رهبة أخافهم بها، ولهذا قال غير واحد من السلف والأئمة كأيوب السختياني وأحمد بن حنبل والدارقطني وغيرهم: مَن قدَّم علياً على عثمان فقد ازدرى بالمهاجرين والأنصار، وهذا من الأدلة الدالة على أن عثمان أفضل لأنهم قدموه باختيارهم واشتوارهم[1].

10 ـ وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ حاكياً إجماع الصحابة على خلافة عثمان رضي الله عنه: ويروى أن أهل الشورى جعلوا الأمر إلى عبد الرحمن ليجتهد للمسلمين في أفضلهم ليوليه، فبذكر أنه سأل مَن يمكنه سؤاله من أهل الشورى، وغيرهم، فلا يشير إلا بعثمان بن عفان، حتى أنه قال لعلي رضي الله عنه: أرأيت إن لم أولِّك بمن تشير به عليَّ؟ قال: بعثمان، وقال لعثمان: أرأيت إن لم أولِّك بمن تشير به؟ قال: بعلي بن أبي طالب، والظاهر أن هذا كان قبل أن ينحصر الأمر في ثلاثة، وينخلع عبد الرحمن منها لينظر الأفضل، والله عليه والإسلام ليجتهد في أفضل الرجلين فيوليه، ثم نهض عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يستشير الناس فيهما ويجمع رأي المسلمين برأي رؤوس الناس وأقيادهم جميعاً وأشتاتاً، مثنى وفرادى ومجتمعين، سراً وجهراً، حتى خلص إلى النساء المخدرات في حجابهن، وحتى سأل الولدان في المكاتب، وحتى سأل مَن يرَد من الركبان والأعراب إلى المدينة في مدة ثلاثة أيام بلياليها، فلم يجد اثنين يختلفان في تقدّم عثمان بن عفّان رضي الله عنه، فسعى في ذلك ثلاثة أيام بلياليها لا يغتمض بكثير نوم إلا في صلاة ودعاء واستخارة وسؤال من ذوي الرأي عنهم، فلم يجد أحداً يعدل بعثمان بن عفان رضي الله عنه، فلما كانت الليلة التي يسفر صاحبها عن اليوم الرابع من موت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ جاء إلى منزل ابن اخته المسور بن مخرمة، وأمره أن ينادي له علياً وعثمان رضي الله عنهما فناداهما فحضرا إلى عبد الرحمن، فأخبرهما أنه سأل الناس فلم يجد أحداً يعدل بهما أحداً، ثم أخذ العهد على كل منهما أيضاً لئن ولاه ليعدلن، ولئن وُلي عليه ليسمعن وليطيعن ـ ثم خرج

(1) منهاج السنة (1/ 134).

إلى المسجد وقد لبس عبد الرحمن العمامة التي عممه بها رسول الله ﷺ وتقلد سيفاً، وبعث إلى وجوه الناس من المهاجرين والأنصار، ونودي في الناس عامة: الصلاة جامعة فامتلأ المسجد بالناس حتى غصَّ بهم، وتراص الناس وتراصوا حتى لم يبقَ لعثمان موضع يجلس فيه إلا في أخريات الناس ـ وكان رجلاً حيياً رضي الله عنه.

ثم صعد عبد الرحمن بن عوف منبر رسول الله ﷺ فوقف وقوفاً طويلاً، ودعا دعاءً طويلاً لم يسمعه الناس ثم تكلم فقال: أيها الناس! إني سألتكم سراً وجهراً عن إمامكم، فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين: إما عليّ، وإما عثمان، فقم إليَّ يا علي، فقام إليه فوقف تحت المنبر فأخذ عبد الرحمن بيده فقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ وفِعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم لا. ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي، قال: فأرسل يده وقال: قم إليَّ يا عثمان، فأخذ بيده وقال: هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وفِعل أبي بكر وعمر؟ قال: اللهم نعم. قال: فرفع رأسه إلى سقف المسجد ويده في يد عثمان وقال: اللهم اسمع واشهد، اللهم اسمع واشهد، اللهم اسمع واشهد، اللهم إني قد جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، وقال: وازدحم الناس يبايعون عثمان حتى غشوه تحت المنبر، قال: فقعد عبد الرحمن مقعد النبي ﷺ وأجلس عثمان تحته على الدرجة الثانية، وجاء إليه الناس يبايعونه، وبايعه علي بن أبي طالب أولاً، ويقال ثانياً[1].

فهذه النقول المتقدم ذكرها للإجماع عن هؤلاء الأئمة كلها تفيد إفادة قطعية أن البيعة بالخلافة تمت لعثمان رضي الله عنه بإجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ولم يخالف أو يعارض في ذلك أحد[2].

سابعاً: حكم تقديم عليّ على عثمان رضي الله عنهما:

نذكّر هنا بأن الصحابة الكرام رضي الله عنهم كلهم عدول، لا يجوز الطعن بواحد منهم، وما

(1) البداية والنهاية (7/ 159 ـ 161).

(2) عقيدة أهل السنة والجماعة في الصحابة الكرام د. ناصر بن علي عايض (2/ 671).

حدث بين بعضهم فهو اختلاف في وجهات النظر، ولا علاقة له بإيمان هذا الصحابي أو ذاك، أو قربه من النبي ﷺ.

وكانت الخلافة قضية استطاع المسلمون أن يحلوا إشكالاتها، ويغلبوا على ما اعترضهم من عقبات كأداء.

وقال ابن تيمية: استقر أمر أهل السنّة على تقديم عثمان، وإن كانت هذه المسألة ـ مسألة عثمان وعلي ـ ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنّة، لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها هي مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليّ، ومَن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله[1].

وذكر أقوال أهل العلم في مسألة تفضيل عليّ على عثمان:

فقال: فيها روايتان:

إحداهما: لا يسوغ ذلك، فمن قال به خرج من السّنة إلى البدعة، لمخالفته لإجماع الصحابة؛ يروى ذلك عن غير واحد؛ منهم أيوب السختياني وأحمد بن حنبل والدارقطني.

والثانية: لا يُبدَّع مَن قدم علياً، لتقارب حال عثمان وعليّ[2].

المبحث الثاني

منهج عثمان بن عفان في الحكم

عندما بويع عثمان رضي الله عنه بالخلافة، قام في الناس خطيباً، فأعلن عن منهجه السياسي مبيناً أنه سيتقيد بالكتاب والسنّة وسيرة الشيخين، كما أشار في خطبته إلى أنه سيسوس الناس بالحلم والحكمة إلا فيما استوجبوه من الحدود، ثم حذرهم من الركون إلى الدنيا والافتتان بحطامها خوفاً من التنافس والتباغض والتحاسد بينهم، مما يفضي بالأمة إلى الفرقة والخلاف، وكأن عثمان رضي الله عنه ينظر وراء الحجب ببصيرته النفاذة إلى ما سيحدث في

(1) مجموعة الفتاوى (3/ 101، 102).

(2) المصدر نفسه (4/ 267).

هذه الأمة من الفتن بسبب الأهواء وتهالك الناس بعد ما بويع[1] فقال:

(أما بعد، فإني كُلفت وقد قبلت، ألا وإني متبع ولست بمبتدع، ألا وإن لكم عليَّ بعد كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ ثلاثاً: اتباع مَن كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم، وسنّ أهل الخير فيما تسنّوا عن ملأ، والكفّ عنكم إلا فيما استوجبتم العقوبة، وإن الدنيا خضرة وقد شهيت إلى الناس ومال إليها كثير منهم، فلا تركنوا إلى الدنيا ولا تثقوا بها، فإنها ليست بثقة، واعلموا أنها غير تاركة إلا مَن تركها)[2].

وأما قول بعض الناس بأن عثمان لما خطب أول خطبة أُرتج عليه فلم يدر ما يقول حتى قال: أيها الناس، إن أول مركب صعب وإن أعش فستأتيكم الخطبة على وجهها، فهو شيء يذكره صاحب العِقْد[3]، وغيره ممَّن يذكر طرف الفوائد، وإن إسناده غير صحيح[4].

أولاً: كُتب عثمان إلى عمّاله وولاته وأمراء الجند وعامة الناس:

أقرّ عثمان رضي الله عنه عمّال عمر رضي الله عنه، فلم يعزل منهم أحداً عاماً كاملاً أخذاً بوصية عمر رضي الله عنه، والناظر في الكتب التي بعث بها إلى الولاة وعمال المال وأمراء الأجناد يقف على النهج الذي أراد السير عليه وأخذ الأمة به[5].

1 ـ أول كتاب كتبه عثمان إلى جميع ولاته:

أما بعد، فإن الله أمر الأئمة أن يكونوا رعاة، ولم يتقدم إليهم أن يكونوا جباة، وإن صدر هذه الأمة خلقوا رعاة، لم يخلقوا جباة، وليوشكن أئمتكم أن يصيروا جباة ولا يكونوا رعاة، فإذا عادوا كذلك انقطع الحياء والأمانة والوفاء. ألا وإن أعدل السيرة أن تنظروا في أمور المسلمين فيما عليهم فتعطوهم ما لهم، وتأخذوهم بما عليهم، ثم تثنّوا

(1) تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة (1/ 392).

(2) تاريخ الطبري (5/ 443).

(3) المراد: ابن عبد ربه الأندلسي، صاحب كتاب العقد الفريد، وهو كتاب في طرق الأخبار والحكايات والنوادر، ولا يهتم بسند الخبر أو صحته.

(4) خلافة عثمان بن عفان، د. السّلمي، ص(34، 35) والخبر من طريق الواقدي وهو متروك.

(5) تحقيق مواقف الصحابة، د. محمد أمحزون (1/ 393).

بالذمة، فتعطوهم الذي لهم، وتأخذوهم بالذي عليهم، ثم العدو الذي تنتابون، فاستفتحوا عليهم بالوفاء[1].

والملاحظ أن عثمان رضي الله عنه أكد في هذا الكتاب الموجه إلى ولاته في الأمصار واجبهم نحو الرعية، وعرّفهم: أن مهمتهم ليست هي جمع المال، وإنما تتمثل في رعاية مصالح الناس، ولأجل ذلك بيَّن السياسة التي يسوسون بها الأمة، وهي أخذ الناس بما عليهم من الواجبات وإعطاؤهم حقوقهم، فإذا كانوا كذلك صلحت الأمة، وإذا انقلبوا جباة ليس همهم إلا جمع المال انقطع الحياء وفقدت الأمانة والوفاء[2]، لقد كان في كتاب عثمان للولاة التركيز على قيم العدل السياسي، والاجتماعي والاقتصادي، بإعطاء ذوي الحقوق حقوقهم، وأخذ ما عليهم، وإعلاء شأن مبدأ الرعاية السياسية لا الجباية، وتكثير الأموال[3].

ونبّه على ما سيكون عند تغير الولاة من رعاة إلى جباة، بأن ذلك سبب في تقلص مكارم الأخلاق التي مثَّل لها بالحياء والأمانة والوفاء، وذلك أن بين الراعي والرعية خيطاً سامياً من العلاقات المتينة، ويؤكده ويثبته اتفاق الجميع على هدف واحد، وهو ابتغاء وجه الله تعالى، فالوالي يسعى لهذا الهدف بما يقدمه لإمامه من طاعة وولاء وأمانة ووفاء، ويبقى خُلُق الحياء الذي أشار إليه عثمان يُظِلُّ الجميع فيمنعهم من ارتكاب ما يُستقبح أو التعرض لجرح المشاعر والإيقاع في الحرج. ثم يوصي عثمان ولاته بالعدل في الرعية، وذلك بأخذ ما عليهم من الحقوق وبذل ما لهم من ذلك، ويشير إلى نقطة مهمة وهي أن الوفاء بالعهود من أهم أسباب الفتح والنصر على الأعداء، وقد بيّن التاريخ أثر هذا الخُلق الرفيع في تفوق المسلمين الإداري والحربي[4].

2 ـ كتابه إلى قادة الجنود:

وكان أول كتاب كتبه إلى قادة الأجناد في الفروج[5]: «أما بعد، فإنكم حماة

(1) تاريخ الطبري (5/ 244).
(2) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 393).
(3) الدولة الإسلامية في عصر الخلفاء الراشدين، حمدي شاهين، ص(246).
(4) التاريخ الإسلامي، مواقف وعبر، د. عبد العزيز الحميدي (12/ 369).
(5) الفروج: يعني الأقاليم.

المسلمين وذادتهم، وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا، بل كان على ملأ منا، ولا يبلغني عن أحد منكم تغيير ولا تبديل فيغيّر الله بكم، ويستبدل بكم غيركم، فانظروا كيف تكونون، فإني أنظر فيما ألزمني الله النظر فيه والقيام عليه»[1].

وفي هذا الكتاب لفت النظر إلى أن الأمور لن تتغير بتغير الخليفة لأن الخلفاء ومن دونهم من الولاة يسيرون على خط واحد، وهو القيام بمهمة تطبيق الإسلام في واقع الحياة. وقوله: (وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا، بل كان على ملأ منا) إشارة إلى أن حكم أولئك الخلفاء يقوم على الشورى، وذلك يترتب عليه أن جميع القضايا المهمة تكون معلومة بتفاصيلها عند أهل الحل والعقد، فإذا ذهب الحاكم وخلفه حاكم آخر سار على المنهج نفسه لوضوح الهدف لدى الجميع، وقوله: (ولا تغيِّروا فيغيِّر الله بكم) وَعْيٌ لسنن الله تعالى في هذا الكون، فمعية الله جل وعلا لأوليائه بالتوفيق والحماية والنصر مشروطة بلزومهم شريعته واستسلامهم لأمره، فإذا تغيَّروا في ذلك غيَّر الله ما بهم واستبدل بهم غيرهم في الهيمنة والتمكين[2]، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرّعد: 11]. وذكّرهم بأنه على علم بواجبه يؤديه ويقوم عليه، ليتلاقى عمل الرعية وعمل الراعي في الشعور بالواجب والقيام به، ويشعر كل فرد أنه يعمل لأمته كما يعمل لنفسه[3].

3 ـ كتابه إلى عمّال الخراج:

وكان أول كتاب كتبه إلى عمال الخراج:

«أما بعد، فإن الله خلق الخلق بالحق فلا يقبل إلا الحق، خذوا الحق وأعطوا الحق به، والأمانة الأمانة، قوموا عليها، ولا تكونوا أول من يُسلَبُها، فتكونوا شركاء من بعدكم إلى ما اكتسبتم، والوفاء الوفاء، لا تظلموا اليتيم، ولا المعاهد، فإن الله خصمٌ لمن ظلمهم»[4].

(1) تاريخ الطبري (5/ 244).
(2) التاريخ الإسلامي (12/ 370).
(3) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص(199).
(4) تاريخ الطبري (5/ 244).

خص في هذا الكتاب وزراء المال الذين يجبونه من أفراد الأمة لينفق في مصالحها العامة، فبيّن لهم أن الله لا يقبل إلا الحق، والحق قائم على الأمانة والوفاء، ثم ميّز صنفين من الرعية، هما ضعيفاها: اليتيم والمعاهد، فحض على التجافي عن ظلمهما، لأن الله هو المتولي حمايتهما[1]، ويذكرهم بأنهم إذا ظلموهم فإنهم معرضون لنقمة الله تعالى، لأنه خصم لمن ظلم هؤلاء المستضعفين، وفي هذا لفتة إلى جانب من جوانب عظمة الإسلام حيث يدعو إلى نصرة المظلومين، وإن كانوا من الكفار المعاهدين[2].

4 ـ كتابه إلى العامة:

أما بعد، فإنكم إنما بلغتم بالاقتداء والاتباع، فلا تلفتكم الدنيا عن أمركم، فإن أمر هذه الأمة صائر إلى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم: تكامل النعم، وبلوغ أولادكم من السبايا، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن، فإن رسول الله ﷺ قال: «**الكفر في العجمة، فإذا استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا**»[3].

وفي هذا الخطاب نلاحظ أن عثمان رضي الله عنه رغب عامة الأمة في الاتباع وترك التكلف والابتداع، وأنه حذرهم تغير الحال إذا اجتمعت لهم ثلاث خلال: تكامل النعم الذي يبطر النفوس ويدفعها إلى الترف، ويصدها عن الاجتهاد والعمل، ويصرفها إلى الفراغ والكسل، حتى تفتر حيويتها وتخور عزائمها؛ وبلوغ أولادها من السبايا وقد لمست الأمة في تاريخها أثر هؤلاء في المجتمع الإسلامي من الوجهة السياسية والاجتماعية والدينية، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن، وإنما يريد عثمان بذلك ما في طبائع الأعراب من جفاء وغلظ الأكباد، فلا تبلغ هداية القرآن مكان الخير من أفئدتهم؛ وكذلك يريد ما في الأعاجم من أخلاق موروثة، وعقائد متأصلة، وعادات قديمة تباعد بينهم وبين سنن القرآن في الهداية، وقد ظهر أثر الأعراب في فرقة الخوارج الذين كانت كثرتهم من أولئك الجفاة، فهم كانوا أقرأ الناس للقرآن، وأبعدهم عن هدايته، ثم ظهر فيمن عداهم أثر الأعاجم فيما ابتدعوه من مذاهب وتكلفوه من آراء كانت شراً على المسلمين في

---

(1) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص(198).

(2) التاريخ الإسلامي (20/ 371).

(3) تاريخ الطبري (5/ 245).

عقائدهم، ومنهم أكثر الفرق الضالة التي لعبت في تاريخ الإسلام أخطر دور[1].

ثانياً: المرجعية العليا للدولة:

أعلن ذو النورين أن مرجعيته العليا لدولته: كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ والاقتداء بالشيخين في هديهم، فقد قال: «... ألا وإني متبع ولست بمبتدع، ألا وإنّ لكم عليّ بعد كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ ثلاثاً: اتباع مَن كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسنتم...»[2].

1 ـ فالمصدر الأول هو كتاب الله: قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء: 105].

فكتاب الله تعالى يشتمل على جميع الأحكام الشرعية التي تتعلق بشؤون الحياة، كما يتضمن مبادئ أساسية وأحكاماً قاطعة لإصلاح كل شعبة من شعب الحياة، كما بيَّن القرآن الكريم للمسلمين كل ما يحتاجون إليه من أسس تقوم عليها دولتهم.

2 ـ المصدر الثاني: السنّة المطهرة: التي يستمد منها الدستور الإسلامي أصوله، ومن خلالها يمكن معرفة الصيغ التنفيذية والتطبيقية لأحكام القرآن[3].

3 ـ الاقتداء بالشيخين: قال رسول الله ﷺ: **«اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر»**[4].

إن دولة ذي النورين خضعت للشريعة، وأصبحت سيادة الشريعة الإسلامية فيها فوق كل تشريع وفوق كل قانون، وأعطت لنا صورة مضيئة مشرقة على أن الدولة الإسلامية دولة شريعة، خاضعة بكل أجهزتها لأحكام هذه الشريعة، والحاكم فيها مقيد بأحكامها لا يتقدم ولا يتأخر عنها[5]، ففي دولة ذي النورين وفي مجتمع الصحابة، الشريعة فوق الجميع، يخضع لها الحاكم والمحكوم، وطاعة الخليفة مقيدة بطاعته لله، قال رسول الله ﷺ: **«لا طاعة في المعصية، إنما الطاعة في المعروف»**[6]، وهيمنة الشريعة على

(1) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص(199).
(2) تاريخ الطبري (5/ 443).
(3) فقه التمكين في القرآن الكريم، الصَّلّابي، ص(432).
(4) صحيح سنن الترمذي (3/ 200).
(5) نظام الحكم في الإسلام، ص(227).
(6) البخاري رقم (7145).

الدولة من خصائص الخلافة الراشدة، فحكومة الخلافة الراشدة تتميز عن الحكومات الأخرى بعدة خصائص منها:

- إن اختصاصات الحكومة (الخليفة) عامة، أي تقوم على التكامل بين الشؤون الدنيوية والدينية.
- إن حكومة الخلافة ملزمة بتنفيذ أحكام الشريعة.
- إن الخلافة تقوم على وحدة العالم الإسلامي[1].

ثالثاً: حق الأمة في محاكمة الخليفة:

الأمر الذي لاشك فيه أن سلطة الخليفة ليست مطلقة، وإنما هي مقيدة بقيدين:

1 ـ ألا يخالف نصاً صريحاً ورد في القرآن الكريم والسنّة، وأن يكون الإجراء الذي يتخذه متفقاً ـ فضلاً عن ذلك ـ مع روح الشريعة ومقاصدها.

2 ـ ألا يخالف ما اتفقت عليه الأمة الإسلامية أو يخرج على إرادتها.

وأساس ذلك: أن الخليفة نائب عن الأمة، منها يستمد سلطانه، ويرجع إليها في تحديد هذا السلطان ومداه، فالأمة تستطيع في كل وقت أن توسع من هذا السلطان، وأن تضيّق منه، أو تقيده بقيود كلما رأت في ذلك مصلحة أو ضماناً لحسن القيام على أمر الله، ومصلحة الأمة[2]، ويكون ذلك من خلال مجلس شورى الأمة، وقد أكد عثمان رضي الله عنه حق الأمة في محاسبة الخليفة في قوله: إن وجدتم في كتاب الله أن تضعوا رجلي في القيد فضعوا رجلي في القيد[3]، وحينما أخذت طائفة عليه بعض أخطاء ـ في زعمها ـ في تصريفه لشؤون الحكم وإسناد وظائفه، وتظاهرت عليه جموع منهم لمحاسبته على أعماله، فأذعن رضوان الله عليه لرغبتهم، ولم ينكر عليهم هذا الحق، وأبدى استعداداً كريماً لإصلاح ما عسى أن يكون أخطأه التوفيق في إبرامه[4].

---

(1) فقه الخلافة، للسنهوري، ص(80).

(2) الدولة والسيادة، د. فتحي عبد الكريم، ص(268).

(3) مسند الإمام أحمد، الموسوعة الحديثية رقم (524).

(4) الدولة والسيادة، ص(379).

رابعاً: الشورى:

إن من قواعد الدولة الإسلامية، حتمية تشاور قادة الدولة وحكامها مع المسلمين والنزول على رضاهم ورأيهم، وإمضاء نظام الحكم بالشورى، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: 159].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: 38]. وقد اتخذ عثمان رضي الله عنه في دولته مجلساً للشورى يتألف من كبار أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار[1]، وقد طلب عثمان رضي الله عنه من العمال والقادة قائلاً: أما بعد، فقوموا على ما فارقتم عليه عمر، ولا تبدلوا، ومهما أشكل عليكم فردوه إلينا نجمع عليه الأمة، ثم نرده عليكم[2]، فأخذ قادته بذلك، فكانوا إذا هموا بالغزو والتقدم في الفتوحات الإسلامية استأذنوه واستشاروه، فيقوم هو بدوره بجمع الصحابة واستشارتهم للإعداد والإقرار والتنفيذ، ووضع الخطط المناسبة لذلك، ومن ثم يأذن[3] لهم، فقد قام عبد الله بن أبي سرح بالكتابة إلى الخليفة عثمان رضي الله عنه طالباً منه أن يأذن له بأن يغزو أطراف إفريقية وذلك لقرب جزر الروم من المسلمين، فأجابه الخليفة عثمان إلى ذلك بعد المشورة وندب إليه الناس[4]، كما أن معاوية بن أبي سفيان حين أراد فتح جزيرة قبرص ورودس فعل الشيء نفسه في استشارة القيادة العليا المركزية وطلب الإذن بالسماح له، ولم يأته الجواب إلا بعد انعقاد مجلس الشورى وبحثه في الموضوع، ومن ثم السماح له[5].

وكان قادة الخليفة عثمان رضي الله عنه في إدارتهم للمعارك الحربية يتشاورون فيما بينهم[6]، كما شاور عثمان كبار الصحابة في جمع القرآن، وفي قتل عبيد الله بن عمر

---

(1) الإدارة العسكرية في الدولة الإسلامية (1/ 277).
(2) المصدر نفسه (1/ 277) نقلاً عن تاريخ الطبري.
(3) فتوح مصر، ص(83).
(4) المصدر نفسه، ص(183).
(5) الإدارة العسكرية (1/ 278).
(6) المصدر نفسه.

للهرمزان، وحول التدابير الكفيلة بقطع دابر الفتنة، وفي مقام القضاء، وغير ذلك من المواقف، والأحداث التي سيأتي بيانها في محلّها بإذن الله.

خامساً: العدل والمساواة:

إن من أهداف الحكم الإسلامي: الحرص على إقامة قواعد النظام الإسلامي التي تساهم في إقامة المجتمع المسلم، ومن أهم هذه القواعد: العدل والمساواة، فقد كتب ذو النورين إلى الناس في الأمصار: أن ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، ولا يُذِلَّ المؤمن نفسه، فإني مع الضعيف على القوي ما دام مظلوماً إن شاء الله[1]. فقد كانت سياسته تقوم على العدل بأسمى صوره، فقد أقام الحد على والي الكوفة الوليد بن عقبة (أخوه لأمه)، عندما شهد عليه الشهود بأنه شرب الخمر، وعزله عن الولاية بسبب ذلك، وسيأتي تفصيل هذه القصة بإذن الله، وقبوله بتولية أبي موسى الأشعري مكانه لأن أهل الكوفة لم يوافقوا على تولية سعيد بن العاص خلفاً للوليد، وقد روي عنه أيضاً أنه غضب على خادم له يوماً فعرك أذنه حتى أوجعه، ولم يستطع أن ينام ليلته آنذاك إلا بعد أن دعا خادمه إلى مضجعه وأمره أن يقتص منه فيعرك أذنه، وقد أبى الخادم في بادئ الأمر، ولكن عثمان أمره ثانية في حزم، فأطاعه[2].

سادساً: الحريات:

مبدأ الحرية من المبادئ الأساسية التي قام عليها الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، ويقضي هذا المبدأ بتأمين وكفالة الحرية العامة للناس كافة ضمن حدود الشريعة الإسلامية، وبما لا يتناقض معها، فقد كانت دعوة الإسلام لحرية الناس - جميع الناس - دعوة واسعة وعريضة قلما تشتمل على مثلها دعوة في التاريخ، وفي عهد الخلفاء الراشدين كانت الحريات العامة المعروفة في أيامنا معلومة ومصونة[3]، كحرية العقيدة الدينية، وحرية التنقل، وحق الأمن وحرمة المسكن وحرية الملكية، وحرية الرأي.

---

(1) تاريخ الطبري (4/ 414).

(2) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، حمد محمد الصمد، ص(149).

(3) المصدر نفسه، ص(157، 158).

سابعاً: الاحتساب:

اهتم أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بالاحتساب بنفسه كما أسنده إلى غيره، فقد ثبت قيامه رضي الله عنه بالاحتساب في مجالات عدة منها:

1 ـ إنكاره على لبس الثوب المعصفر:

ومن احتسابه رضي الله عنه: أنه أنكر على محمد بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لبسه الثوب المعصفر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: راح عثمان رضي الله عنه إلى مكة حاجاً، ودخلتُ على محمد بن جعفر بن أبي طالب امرأته، فبات معها حتى أصبح غدا عليه ردع[1] الطيب وملحفة معصفرة مفدَّمة[2]، فأدرك الناس بملل[3]، قبل أن يروحوا؛ فلما رآه عثمان رضي الله عنه انتهر وأفّف، وقال: أتلبس المعصفر وقد نهى عنه رسول الله ﷺ؟[4].

2 ـ إنكاره على قاصدات العمرة والحج وهن في العدة:

ومن احتسابه رضي الله عنه أنه كان يرد النساء اللواتي كنّ يخرجن للعمرة أو الحج وهن في العدة، فقد روى الإمام عبد الرزاق عن مجاهد قال: كان عمر وعثمان رضي الله عنهما يرجعان حواجّ ومعتمراتٍ من الجحفة وذي الحليفة[5].

3 ـ أمره بذبح الحمام:

ومن احتسابه: أنه منع الناس من الانشغال في طيران الحمام[6]، لما بدأوا فيه مع سعة العيش، وأمرهم بذبحه، فقد روى الإمام البخاري عن الحسن قال: سمعت عثمان رضي الله عنه يأمر في خطبته بقتل الكلاب وذبح الحمام[7].

---

(1) ردع: لطخ وأثر.

(2) مفدمة: مشبعة حمرة.

(3) ملل: موضع بين مكة والمدينة.

(4) المسند رقم (517). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح. انظر: تعليقات الشيخ على المسند (1/ 384).

(5) المصنف رقم (12071).

(6) تاريخ الطبري (5/ 415).

(7) الأدب المفرد، باب ذبح الحمام، ورقم (1307).

4 ـ احتسابه على اللعب بالنرد:

كان عثمان رضي الله عنه ينهى عن اللعب بالنرد، وأمرهم بتحريقه أو كسره ممن كان في بيته، فقد روى الإمام البيهقي عن زبيد بن الصلت أنه سمع عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو على المنبر يقول: يا أيها الناس إياكم والميسر ـ يريد النرد ـ فإنها قد ذكرت لي: أنها في بيوت ناس منكم، فمن كان في بيته، فليحرقها أو فليكسرها. وقال عثمان رضي الله عنه مرة أخرى وهو على المنبر: يا أيها الناس، إني قد كلمتكم في هذا النرد، ولم أركم أخرجتموها، فلقد هممت أن آمر بحزم الحطب، ثم أرسل إلى بيوت الذين هم في بيوتهم فأحرقها عليهم[1].

5 ـ إخراجه مَن يراه على شر أو يشهر سلاحاً من المدينة:

ومن احتسابه أيضاً: أنه كان ينكر على مَن يراه على شر أو كان يحمل معه سلاحاً ويخرجه من المدينة، فعن سالم بن عبد الله رضي الله عنه قال: وجعل عثمان لا يأخذ أحداً منهم على شر أو شهر سلاح، عصا فما فوقها إلا سيّره[2].

6 ـ ضربه لمن استخف بعمّ النبي ﷺ:

ففي أيام خلافته ضرب رجلاً في منازعة استخف فيها بالعباس بن عبد المطلب عمّ الرسول ﷺ، فقيل له عن مبررات ضربه. فقال: نعم، أيُفَخِّم رسول الله ﷺ عمه وأُرَخِّص في الاستخفاف به؟ لقد خالف رسول الله ﷺ مَن فعل ذلك ومَن رضي به منه[3].

7 ـ نهيه عن الخمر لأنها أم الخبائث:

روى النسائي في سننه والبيهقي في سننه عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم يتعبّد، فَعَلِقَتْه امرأة أغوته، فأرسلت إليه جاريتها، فقالت له: إنها تدعوك للشهادة، فانطلق مع جاريتها، فطفق كلما

(1) السنن الكبرى، كتاب الشهادات (10/ 215).

(2) تاريخ الطبري (5/ 416) معظم هذه الفقرة أخذتها من كتاب: الحسبة في العصر النبوي والعهد الراشدي، للدكتور فضل إلهي.

(3) تاريخ الطبري (5/ 417).

دخل باباً أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة، عندها غلام وباطية خمر فقالت: والله ما دعوتك للشهادة، ولكن دعوتك لتقع عليّ، أو تشرب من هذه الخمرة كأساً، أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقني من هذا الخمر كأساً، فسقته كأساً، فقال: زيدوني، فلم يَرِمْ حتى وقع عليها وقتل الغلام، فاجتنبوا الخمر، فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا ويوشك أن يخرج أحدُهما صاحبه[1].

8 ـ من خطب عثمان في المجتمع ومن حِكَمِهِ:

أ ـ خطبة في الاستعداد ليوم المعاد:

يقول الحسن البصري رحمه الله: خطب عثمان بن عفان، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، اتقوا الله، فإن تقوى الله غُنم، وإن أكيس الناس مَن دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، واكتسب من نور الله نوراً لظلمة القبر، وليخش عبد أن يحشره الله أعمى، وقد كان بصيراً، وقد يكفى الحكيم جوامعُ الكلام، والأصم ينادى من مكان بعيد، واعلموا أن مَن كان الله معه لم يخف شيئاً، ومَن كان الله عليه فمن يرجو بعده[2]؟

وعن عثمان رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الجمّاء لتُقصُّ من القرناء يوم القيامة»**[3].

ب ـ التذكير بمكارم الأخلاق:

قال عثمان رضي الله عنه: إنا والله صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، فكان يعود مرضانا، ويشيّع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير، وإن ناساً يُعلمونني به عسى ألا يكون أحدهم رآه قط[4].

ج ـ من حكمه التي سارت بين الناس:

- قال رضي الله عنه: لو طهرت قلوبنا ما شبعتم من كلام ربكم[5].

---

(1) سنن النسائي، كتاب الأشربة، موسوعة فقه عثمان، ص(52).
(2) صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النورين، ص(107).
(3) الموسوعة الحديثية، مسند أحمد رقم (520).
(4) صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النورين، ص(107).
(5) جامع العلوم والحكم، ص(363).

- وقال رضي الله عنه: ما أسرّ أحد سريرةً إلا أبداها الله تعالى على صفحات وجهه، وفلتات لسانه[1].
- إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن[2].
- وكان رضي الله عنه لا يقيم للدنيا وزناً، فقال فيها: (هَمُّ الدنيا ظلمة في القلب، وهَمُّ الآخرة نور في القلب)[3].
- ومن حكمه البالغة: يكفيك من الحاسد أنه يغتمُّ وقت سرورك[4].
- وقال رضي الله عنه في أيام الفتنة: أستغفر الله إن كنت ظَلمتُ، وقد عفوتُ إن كنت ظُلِمتُ[5].
- ومن حكمه ومواعظه رضي الله عنه: إن لكل شيء آفة، ولكل نعمة عاهة، وإن آفة هذا الدين وعاهة هذه النعمة عيَّابون صغَّانون، يُرونكم ما تحبون، ويُسرُّون ما تكرهون، طغام مثال النعام[6].
- ولما قدم عبد الله بن الزبير بفتح إفريقية، أمره عثمان بن عفان رضي الله عنهما، فقام خطيباً، فلما فرغ من كلامه قال عثمان: انكحوا النساء على آبائهن وإخوتهنّ، فإني لم أرَ في ولد أبي بكر الصدِّيق أشبه به من هذا[7]، وعبد الله بن الزبير أمه أسماء بنت أبي بكر، ويريد أن ابن الزبير كان شبيهاً بجده في الشجاعة والإقدام والفصاحة[8].
- وقال رضي الله عنه: ما من عامل يعمل عملاً إلا كساه الله رداء عمله[9].
- وقال رضي الله عنه: إن المؤمن في «خمسة» أنواع من الخوف «أحدها» من قبل الله تعالى

(1) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، ص(269).
(2) الكامل في اللغة والأدب (1/ 157).
(3) الاستعداد ليوم المعاد، ص(9).
(4) مجمع الأمثال للميداني (2/ 453).
(5) تاريخ خليفة بن خياط، ص(171).
(6) مجمع الأمثال للميداني (20/ 453).
(7) البيان والتبيين (2/ 95).
(8) فرائد الكلام، ص(271).
(9) الزهد للإمام أحمد، ص(185).

أن يأخذ منه الإيمان، «**والثاني**» من قبل الحفظة أن يكتبوا عليه ما يفتضح به يوم القيامة، «**والثالث**» من قبل الشيطان أن يبطل عمله، «**والرابع**» من قبل ملك الموت أن يأخذه في غفلة يغتة، «**والخامس**» من قبل الدنيا أن يغتر بها وتُشغله عن الآخرة[1].

- وقال رضي الله عنه: وجدت حلاوة العبادة في أربعة أشياء: «**أولها**» في أداء فرائض الله، «**والثاني**» في اجتناب محارم الله، «**والثالث**» في الأمر بالمعروف ابتغاء ثواب الله، «**والرابع**» في النهي عن المنكر اتقاء غضب الله[2].

9 ـ عثمان رضي الله عنه والشعر والشعراء:

- لم تذكر لنا المصادر والمراجع سوى النزر القليل عن علاقة عثمان رضي الله عنه مع الشعر والشعراء، مع أن فترة خلافته كانت طويلة نسبياً، ومن هذا القليل تبيّن لنا أنه كان ملتزماً المنهج العام للعقيدة الإسلامية التي وضّح معالمها الرسول ﷺ والتي سلك طريقها سلفه أبو بكر الصدِّيق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ولاشك أن لكل منهم شخصيته الأدبية المميزة، فقد اشتهر أبو بكر بمعرفة الأنساب، وبعلمه الوافر وحسن مجالسته وبروايته للشعر، واشتهر عمر بالحث على تعلم الشعر، وأنه لم تكن تعرض له قضية إلا تمثل ببيت شعر، أضف إلى ذلك أنه كان شاعراً، أما عثمان بن عفان رضوان الله عليه فلم يؤثر عنه ذلك الانغماس الكبير في الشعر، أو تلك العلاقة الحميمة مع الشعراء، وإذا كنا نعرف أن الشعراء كانوا يتهافتون على أبواب الأمراء طمعاً برضاهم وبأعطيتهم، فإننا نرى أن الشعراء أيام عثمان، يتركون الحواضر ودار الخلافة ويؤثرون العودة إلى البادية[3]. وقد ذكرت كتب الأدب والتاريخ بعض الأبيات نسبتها إلى عثمان، أو كان يتمثل بها، ومن هذه الأبيات يروى أنه قال:

واعلمْ بأنَّ اللَّه ليسَ كصُنْعِهِ ... صُنْعٌ ولا يخفى عليهِ مُلحِدُ

(1) فرائد الكلام للخلفاء الكرام، ص(278).

(2) المصدر نفسه.

(3) أدب صدر الإسلام، واضح الصمد، ص(99).

وكان كثيراً ما ينشد أبياتاً قالها ويطيل ذكرها لا تعرف لغيره:

تفنى اللذائذُ ممّن نالَ صفوتَها ... من الحرامِ ويبقى الإثمُ والعارُ

يلقى عواقِبَ سوءٍ من مغبّتِها ... لا خيرَ في لذةٍ من بعدِها نارُ[1]

قال يوم دخل عليه الثائرون في بيته ليقتلوه:

أرى الموتَ لا يُبقي عزيزاً ولم يَدَعْ ... لعادٍ ملاذاً في البلادِ ومرتعا[2]

وقال لما حوصر في داره:

يُبيَّتُ أهلُ الحصنِ والحصنُ مغلَقٌ ... ويأتي الجبالَ الموتُ يِمْراخَها العُلا[3]

ويروى له أيضاً:

غنى النفس يُغني النفس حتى يكُفَّها ... وإن عَضَّها حتى يَضُرَّ بها الفقرُ

وما عُسْرةٌ فاصْبِرْ لها إن لقيتَها ... بكائنةٍ إلا سيتْبَعُها يُسْرُ

ونلاحظ في البيت الأخير، أنه يتضمن معنى قرآنياً: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: 6] ، وهذا ليس غريباً على الخليفة المسلم، الذي نشأ وترعرع في أحضان محمد ﷺ، فهو يعاقب على شعر الهجاء والذي يتعارض وأحكام الشريعة الإسلامية، ويثني على الشعر الحسن ويحب الاستماع إليه، وكل ذلك ضمن المفاهيم الإسلامية[4].

وإذا كان الخليفة الراشد الثالث لم يهتم بالشعر، ولم يقرب إليه الشعراء، فإن مقتله من قبل الغوغاء فتح الباب على مصراعيه لازدهار الشعر السياسي الذي أصبح الأداة الصحافية الفاعلة في العصور الإسلامية المتلاحقة، فعند مقتله بكاه كثير من شعراء الصحابة، وسيأتي بيان ذلك بإذن الله[5].

---

(1) شعراء الخلفاء، نبال تيسير الخماش، ص(27).

(2) البداية والنهاية (7/ 192).

(3) المصدر نفسه.

(4) أدب صدر الإسلام، واضح الصمد، ص(102).

(5) الأدب الإسلامي، د. نايف معروف، ص(190).

المبحث الثالث

أهـــم صفاتـــه

إن شخصية ذي النورين تعتبر شخصية قيادية، وقد اتصف رضي الله عنه بصفات القائد الرباني، ونجملها في أمور، ونركز على بعضها بالتفصيل؛ فمن أهم هذه الصفات: إيمانه العظيم بالله واليوم الآخر، والعلم الشرعي، والثقة بالله، والقدوة والصدق، والكفاءة والشجاعة، والمروءة، والزهد، وحب التضحية، والتواضع، وقبول النصيحة، والحلم، والصبر، وعلو الهمة، والحزم، والإرادة القوية، والعدل، والقدرة على حل المشكلات، والقدرة على التعليم، وإعداد القادة، وغير ذلك من الصفات، وبسبب ما أودع الله فيه من صفات القيادة الربانية استطاع أن يحافظ على الدولة ويقمع الثورات التي حدثت في الأراضي المفتوحة، وينتقل بفضل الله وتوفيقه بالأمة نحو أهدافها المرسومة بخطوات ثابتة. ومن أهم تلك الصفات التي نحاول تسليط الأضواء عليها في هذا المبحث هي:

أولاً: العلم والقدرة على التوجيه والتعليم:

يعتبر عثمان رضي الله عنه من كبار علماء الصحابة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وسيأتي الحديث عن اجتهاداته الفقهية في المجال القضائي، والمالي، والجهادي بإذن الله تعالى، وكان رضي الله عنه حريصاً على اتباع هدي النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فعن عروة بن الزبير: أن عبيد الله بن عدي بن الخيار أخبره: أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا له: ما يمنعك أن تكلم خالك يكلم أمير المؤمنين عثمان في الوليد بن عقبة، وقد أكثر الناس فيما فعل؟ قال عُبَيد الله: فاعترضت لأمير المؤمنين عثمان حين خرج إلى الصلاة فقلت له: إن لي إليك حاجة هي نصيحة، قال: يا أيها المرء! إني أعوذ بالله منك، قال: فانصرفت فلما قضيت الصلاة جلست إلى المِسْور وابن عبد يغوث فحدثتهما بالذي قلت لأمير المؤمنين، وقال لي، فقالا: قد قضيت الذي عليك، فبينما أنا جالس معهما، جاءني رسول أمير المؤمنين عثمان فقالا لي: قد ابتلاك الله، فانطلقت حتى دخلت على عثمان، فقال: ما نصيحتك التي ذكرت لي آنفاً؟ قال: فتشهدت ثم قلت له: إن الله عز وجل بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ، ورأيت هديه، وقد أكثر الناس في شأن الوليد، فحق عليك أن تقيم عليه الحد، قال: فقال لي: ابن أختي! أدركت رسول الله ﷺ؟ قال: فقلت: لا، ولكن خَلصَ

إليّ من علمه واليقين ما يَخلُص إلى العذراء في سترها. قال: فتشهد ثم قال: أما بعد، فإن الله بعث محمداً بالحق، فكنت ممن استجاب لله ولرسوله، وآمن بما بعث محمد ﷺ، ثم هاجرت الهجرتين كما قلت، ونلت صهر رسول الله ﷺ وبايعت رسول الله ﷺ، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله، ثم استُخلف بعده أبو بكر فبايعناه، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله، ثم استُخلف عمر، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله، ثم استخلفني الله، أفليس لي عليكم مثل الذي كان لهم عليّ؟ قال: فقلت: بلى، قال: فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم؟ فأما ما ذكرت من شأن الوليد فسنأخذ فيه إن شاء الله بالحق، قال: فجلد الوليد أربعين سوطاً، وأمر علياً بجلده فكان هو يجلده[1].

لقد لازم ذو النورين النبي ﷺ فاستفاد من علمه وهديه، مما جعله من كبار علماء الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، وكان رضي الله عنه قادراً على توجيه رعيته توجيهاً مفيداً، وتعليمهم واجباتهم، ونقل آرائه النابعة من علمه وخبرته وتجاربه وممارسته إليهم، حتى يرتقوا في مجال الدعوة والتربية والتعليم والجهاد والاستعداد للقاء الله عز وجل، ومن توجيهات عثمان رضي الله عنه ما تضمنته خطبة خلافته التي قال فيها ـ بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ ـ: إنكم في دار قلعة، وفي بقية أعمار، فبادروا آجالكم بخير ما تقدرون عليه، فلقد أُتيتم صبحتم أو مسيتم، ألا وإن الدنيا طويت على الغرور، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور، واعتبروا بمن مضى، ثم جدوا ولا تغفلوا، أين أبناء الدنيا وإخوانها الذين أثاروها وعمروها ومتعوا بها طويلاً؟ ألم تلفظهم؟ ارموا الدنيا بالذي هو خير[2] قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: 45، 46].

ولقد كان المعنى الذي يدور حوله توجيه الخليفة الثالث رضي الله عنه في هذه الخطبة هو الحض على الإقبال على الله والزهد في الدنيا، وهذا هو المناسب لخطبته في ذلك الوقت الذي ألقى فيه الإسلام بجرانه[3] في أقطار المعمورة، وفتحت البلدان، وأقبلت

(1) فضائل الصحابة (1/ 597) رقم (791) إسناده صحيح.

(2) البداية والنهاية (7/ 153).

(3) جرانه: أي ثبت واستقر.

الدنيا بنعيمها، وبدأ الناس في التنافس فيها وبخاصة غير أصحاب رسول الله ﷺ فكان المقال مناسباً للمقام[1].

وقد روى عثمان رضي الله عنه أحاديث عن رسول الله ﷺ انتفعت بها الأمة، فهذا أبو عبد الرحمن السلمي يحدثنا عن حديث سمعه من عثمان فعمل به، فعن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خيركم مَن تعلّم القرآن وعلّمه**»[2]، قال: وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان حتى كان الحجَّاج، قال: وذاك الذي أقعدني مقعدي هذا، وفي رواية عن شعبة قال أبو عبد الرحمن: فذاك الذي أقعدني مقعدي هذا، وكان يعلم القرآن[3]، وكان عثمان رضي الله عنه يروي أحاديث رسول الله ﷺ للمسلمين كلٌّ في محله ومناسبته، ومن هذه الأحاديث:

1 ـ أهمية الوضوء:

توضأ عثمان على البلاط، ثم قال: لأُحدِّثنَّكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ، لولا آية في كتاب الله، ما حدثتكموه، سمعت النبي ﷺ يقول: «**مَن توضأ فأحسن الوُضوء، ثم دخل فصلى، غُفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى حتى يصليها**»[4].

2 ـ اتباعه لرسول الله ﷺ في الوضوء:

عن حمران بن أبان، عن عثمان بن عفان: أنه دعا بماء فتوضأ ومضمض واستنشق، ثم غسل وجهه ثلاثاً، وذراعيه ثلاثاً ثلاثاً، ومسح برأسه وظهر قدميه، ثم ضحك، فقال لأصحابه: ألا تسألوني عما أضحكني؟ فقالوا: مم ضحكت يا أمير المؤمنين؟ فقال: رأيت رسول الله ﷺ دعا بماء قريباً من هذه البقعة، فتوضأ كما توضأت ثم ضحك، فقال: «**ألا تسألوني ما أضحكني**»؟ فقالوا: ما أضحكك يا رسول الله؟ فقال: «**إن العبد إذا دعا بوضوء فغسل وجهه، حط الله عنه كل خطيئة أصابها بوجهه، فإذا غسل ذراعيه كان كذلك، وإن مسح برأسه كان كذلك، وإن طهّر قدميه كان كذلك**»[5].

---

(1) الكفاءة الإدارية في السياسة الشرعية، للقادري، ص(93).
(2) البخاري رقم (5028).
(3) الخلافة الراشدة، د. يحيى اليحيى، ص(420، 421).
(4) الموسوعة الحديثية مسند أحمد رقم (400) إسناده صحيح.
(5) الموسوعة الحديثية مسند أحمد رقم (415) صحيح لغيره.

3 ـ كفارات الوضوء:

عن عثمان قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أتمّ الوضوء كما أمره الله ﷻ، فالصلوات المكتوبات كفارات لما بينهن**»[1].

4 ـ الوضوء وصلاة ركعتين مغفرة الذنوب:

دعا عثمان بماء وهو على المقاعد، فسكب على يمينه فغسلها، ثم أدخل يمينه في الإناء فغسل كفيه ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاث مرار، ومضمض واستنثر، وغسل ذراعيه إلى المرفقين ثلاث مرار، ثم مسح برأسه، ثم غسل رجليه إلى الكعبين ثلاث مرار، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَن توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلى ركعتين لا يُحدّثُ نفسه فيهما، غفر الله له ما تقدم من ذنبه**»[2].

5 ـ كلمة الإخلاص وكلمة التقوى:

قال عثمان رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقاً من قلبه إلا حُرِّم على النار**». فقال له عمر بن الخطاب: أنا أحدثك ما هي؟ هي كلمة الإخلاص التي ألزمها الله تبارك وتعالى محمداً ﷺ وأصحابه، وهي كلمة التقوى التي ألاصَ[3] عليها نبيُّ الله ﷺ عمه أبا طالب عند الموت: شهادة أن لا إله إلا الله[4].

6 ـ العلم بالله يدخل العبد الجنة:

عن عثمان بن عفان، عن النبي ﷺ قال: «**مَن مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة**»[5].

7 ـ الحسنات والباقيات:

عن الحارث مولى عثمان قال: جلس عثمان يوماً وجلسنا معه، فجاءه المؤذن، فدعا

---

(1) الموسوعة الحديثية مسند الإمام أحمد رقم (406) إسناده صحيح.

(2) المصدر نفسه رقم (418) إسناده صحيح.

(3) ألاص: أي راوده فيها.

(4) مسند أحمد رقم (447) إسناده قوي.

(5) مسند أحمد رقم (464) إسناده صحيح.

بماء في إناء، أظنه سيكون فيه مُدٌّ، فتوضأ، ثم قال: رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وضوئي هذا، ثم قال: «**ومَن توضأ وضوئي هذا، ثم قام فصلَّى صلاة الظهر، غفر له ما كان بينها وبين الصبح، ثم صلى العصر غُفر له ما بينها وبين صلاة الظهر، ثم صلى المغرب غُفر له ما بينها وبين صلاة العصر، ثم صلى العشاء غفر له ما بينها وبين صلاة المغرب، ثم لعله أن يبيت يتمرغ ليلته، ثم إن قام فتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء وهُنَّ الحسنات يُذهبن السيئات**». قالوا: هذه الحسنات، فما الباقيات يا عثمان؟ قال: هنَّ: لا إله إلا الله وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله[1].

8 ـ خطورة الكذب على رسول الله ﷺ:

عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن تعمد عليَّ كذباً، فليتبوأ بيتاً في النار**»[2].

هذه بعض الأحاديث التي رواها عثمان عن رسول الله ﷺ، وتدل على علم عثمان وحرصه على الاستزادة من الهدي النبوي، وفقه الشريعة الغراء.

ثانياً: الحِلـــم:

إن الحلم ركن من أركان الحكمة، وقد وصف الله نفسه بصفة الحلم في عدة مواضع من القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران: 155]. وقد بلغ النبي ﷺ في حلمه وعفوه الغاية المثالية، وكان الخليفة الراشد عثمان بن عفان شديد الاقتداء في أقواله وأفعاله وأحواله برسول الله ﷺ، وكانت له مواقف كثيرة تدل على حلمه وضبطه لنفسه. ومن أوضح المواقف التي تدل على حلمه قصته في حصار الثائرين عليه حيث أمر مَن عنده من المهاجرين والأنصار أن ينصرفوا إلى منازلهم ويدعوه وكانوا قادرين على منعه، وكان حلمه مبنياً على شوقه إلى لقاء ربه، وإرادته حقن دماء المسلمين ولو بقتله[3].

---

(1) مسند أحمد رقم (513) إسناده حسن.

(2) مسند أحمد رقم (507) إسناده صحيح.

(3) الكفاءة الإدارية في السياسة الشرعية، د. عبد الله قادري، ص(65).

ثالثاً: السماحة:

عن عطاء بن فروخ مولى القرشيين: أن عثمان رضي الله عنه اشترى من رجل أرضاً فأبطأ عليه، فلقيه فقال: ما منعك من قبض مالك؟ قال: إنك غبنتني، فما ألقى من الناس أحداً إلا وهو يلومني، فقال: أوَذلك يمنعك؟ قال: نعم، قال: فاختر بين أرضك، ومالك، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: **«أدخل الله الجنة رجلاً كان سهلاً مشترياً وبائعاً، وقاضياً ومقتضياً»**[1]. فهذا مثل رفيع في السماحة في البيع والشراء، وهو يدل على ما جُبل عليه عثمان رضي الله عنه من الكرم وعدم التعلق بالدنيا، فهو يستعبد الدنيا لخدمة مكارم الأخلاق التي من أهمها: الإيثار، ولا تستعبده الدنيا، فتجعل منه أنانياً يؤثر مصالحه الخاصة وإن أضر بالناس[2].

رابعاً: اللين:

امتن الله تعالى على رسوله ﷺ بأن رزقه صفة اللين رحمة منه به وبعباده، قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: 159].

أفادت الآية الكريمة أن صفة اللين رحمة من الله يرزق بها من شاء من عباده، وأن الرسول ﷺ قد رزق هذه الصفة رحمة من الله به وبعباده الذين بعثه إليهم، ويفهم من الآية أن المتصف باللين يحبه الناس ويلتفّون حوله يقبلون منه ما يأمرهم به أو ينهاهم عنه[3]، فاللين من الصفات الطيبة التي اتصف بها عثمان رضي الله عنه، فكان رضي الله عنه، ليناً على رعيته، عطوفاً على أمته، يخاف أن يصاب أحد دون علمه فلا يتمكن من تلبية حاجته، وكان يتتبع أخبار الناس، فينصر الضعيف، ويأخذ الحق من القوي رضي الله عنه.

خامساً: العفو:

عن عمران بن عبد الله بن طلحة: أن عثمان بن عفان رضي الله عنه خرج لصلاة الغداة فدخل من الباب الذي كان يدخل منه، فزحمه الباب فقال: انظروا، فنظروا فإذا رجل معه

(1) مسند أحمد رقم (410) حسن لغيره.

(2) التاريخ الإسلامي (17، 18/ 126).

(3) الكفاءة الإدارية، ص(69).

خنجر أو سيف، فقال له عثمان رضي الله عنه: ما هذا؟ قال: أردت أن أقتلك، قال: سبحان الله، ويحك عَلاَم تقتلني؟ قال: ظلمني عاملك باليمن، قال: أفلا رفعت ظلامتك إليّ فإن لم أنصفك ـ أو أعديك ـ على عاملي أردت ذلك مني؟ فقال لمن حوله: ما تقولون؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين، عدوٌّ أمكنك الله منه، فقال: عبد همّ بذنب فكفّه الله عني، ائتني بمن يكفل بك: لا تدخل المدينة ما وليت أمر المسلمين، فأتاه برجل من قومه، فكفل به، فخلى عنه[1].

فهذا تسامح كبير من أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، حيث عفا عمن أراد قتله، والعفو عند المقدرة صفة من صفات الكمال في الرجال، وهو دليل على التجرد من حظّ النفس، وتقلص الأنانية، وضعف الارتباط بالدنيا، وقوة الارتباط بالآخرة، وهذا الخلق إضافة إلى أنه عمل صالح يرفع من درجات صاحبه في الآخرة، فإنه سياسة حكيمة في الدنيا، إذ أن هذا الرجل الذي أراد الاعتداء لو أنه قتل أو عوقب عقوبة بليغة لربما أحدث فتنة بإيغار صدور أفراد قبيلته واستعدادهم للانتقام إذا سنحت لهم الفرصة، لكن العفو عنه يجعل أفراد قبيلته وأبناء بلده يعذلونه ويعنفونه على ما حاول الإقدام عليه، وبذلك تنطفئ الفتنة قبل تصاعدها، ويكسب صاحب العفو قلوب الناس وولاءهم[2].

سادساً: التواضع:

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: 63].

جعل المولى عز وجل صفة التواضع أول صفات عباده المؤمنين، ولقد كان الخليفة الراشد عثمان متصفاً بهذه الصفة، وكانت هذه الصفة تنبع من إخلاصه لله تعالى، فعن عبد الله الرومي قال: كان عثمان بن عفان يأخذ وضوءه لنفسه إذا قام من الليل، فقيل له: لو أمرت الخادم كفاك؛ قال: لا، الليل لهم يستريحون فيه[3]، فهذا مثل من اتصاف أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بالرحمة، فهو مع كبر سنه وعلو منزلته الاجتماعية يخدم نفسه في

(1) التاريخ الإسلامي (17، 18/ 22) نقلاً عن تاريخ المدينة المنورة، ص(1027، 1028).

(2) التاريخ الإسلامي (17/ 18/ 22).

(3) فضائل الصحابة رقم (742) إسناده صحيح، وهو رواية أخرى.

الليل ولا يوقظ الخدم، وإن وجود الخدم من تسخير الله تعالى للمخدومين، وإن مما ينبغي للمسلم الذي سخر الله تعالى له من يخدمه أن يتذكر أن الخادم إنسان مثله له طاقة محدودة في العمل، وله مشاعر وأحاسيس، فينبغي له أن يراعي مشاعره، وأن ييسر له الراحة كاملة في النوم، وأن لا يشق عليه بعمل[1]، وكان ﷺ من تواضعه واحترامه لعمّ النبي ﷺ إذا مرّ به وهو راكب نزل حتى يزول العباس احتراماً وتقديراً له[2].

سابعاً: الحياء والعفة:

الحياء من أشهر أخلاق عثمان ﷺ، وما أحلاها تلك الصفة النبيلة التي زينه الله بها، فكانت فيه منبع الخير والبركة، ومصدر العطف والرحمة، فقد كان ﷺ من أشد الناس حياءً[3]، فقد ذكر الحسن البصري ﷺ عثمان بن عفان يوماً، وشدة حيائه، فقال: إنه ليكون في البيت، والباب عليه مغلق، فما يضع عنه ثوبه ليفيض عليه الماء، يمنعه الحياء أن يُقيم صلبه[4]، ومن حيائه، ﷺ: ما روته بُنانة، وهي جارية لامرأته تقول: كان عثمان إذا اغتسل جئته بثيابه، فيقول لي: لا تنظري إليَّ، فإنه لا يحل لك[5]، وقد وردت الأحاديث النبوية التي تحدثت عن حيائه وقد ذكرتها في موضعها؛ وأما عن عفته وبعده عن مساوئ الأخلاق فحدث في ذلك بما شئت ولا حرج، فإنه ﷺ لم يعرف طريق الفحشاء في الجاهلية، ولا في إسلام، يقول عثمان ﷺ: ما تغنيت، ولا تمنيت[6]، ولا مسستُ ذكري بيميني منذ بايعت بها رسول الله ﷺ، ولا شربت خمراً في جاهلية ولا في الإسلام، ولا زنيت في جاهلية ولا في إسلام[7].

ثامناً: الكرم:

كان عثمان ﷺ من أكرم الأمة وأسخاها، وله في ذلك مواقف ومآثر لا تزال غرة

(1) التاريخ الإسلامي (17، 18/ 62).
(2) التبيين في أنساب القريشيين، (153).
(3) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص(48، 49).
(4) صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النورين، ص(43).
(5) طبقات ابن سعد (3/ 59) خبر لا بأس به.
(6) تغنيت: من الغناء. تمنيت: من التمني: الكذب واختلاق الباطل.
(7) صحيح التوثيق، ص(44).

في جبين التاريخ الإسلامي، فقد مرّ معنا ما قام به في غزوة تبوك، وشراؤه لبئر رومة وتصدقه به على المسلمين، وتوسيعه للمسجد النبوي في عهد النبي ﷺ، وتصدقه بالقافلة المحملة بالخيرات في عصر الصدِّيق رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه يعتق كل جمعة رقبة في سبيل الله منذ أسلم ـ فجميع ما أعتقه ألفان وأربعمائة رقبة تقريباً[1]، وقد رُوي أنه كان له على طلحة بن عبيد الله ـ وكان من أجود الناس ـ خمسون ألفاً، فقال له طلحة يوماً: قد تهيأ مالك فاقبضه، فقال له عثمان: هو لك معونة على مروءتك[2]، لقد كان سخاء عثمان وجوده صفة أصلية في شخصيته الفذة رضي الله عنه، فقد وظف أمواله في خدمة دين الله فلم يبخل في تأسيس الدولة الإسلامية، والجهاد في سبيل الله تعالى، وخدمة المجتمع ابتغاء رضوان الله تعالى.

تاسعاً: شجاعتـــه:

يعد عثمان رضي الله عنه من الشجعان والدليل على ذلك:

1 ـ خروجه للجهاد في سبيل الله:

وحضوره المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وإذا اتُهم بتخلفه عن بدر فقد سبق أن قلنا إن ذلك كان بأمر من رسول الله ﷺ، ثم عدَّه رسول الله ﷺ، من الذين شهدوها، وأعطاه سهمه منها، ونال أجره ـ إن شاء الله ـ وليس بعد كلام رسول الله ﷺ كلام.

2 ـ سفارةُ رسول الله ﷺ إلى قريش في الحديبية:

امتثل عثمان رضي الله عنه ـ كما مر معنا ـ طلب الرسول ﷺ وذهب إلى قريش، وهو يعرف ما أقدم عليه، غير أن رجولته وبطولته قد أبتا عليه إلاّ الامتثال والطاعة.

إن مَن يقبل السفارة في مثل تلك الظروف لشجاع عظيم، ويعد من الأبطال النوادر، صحيح أنها أمر من رسول الله ﷺ، ولكنها في الوقت نفسه شجاعة لا يمكن أن يقبل بها جبان أو رجل عادي[3].

---

(1) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمي (1/ 327).

(2) البداية والنهاية (7/ 227).

(3) الأمين ذو النورين، ص(194 ـ 196).

3 ـ الفداء بالنفس:

عندما حوصر رضي الله عنه في داره طلب منه المارقون التنازل عن الخلافة لا خيار غيره، أو القتل، أو عزل ولاته وتسليم بعضهم فأصرّ على موقفه، مضحياً بنفسه من أن تصبح الخلافة بيد ثلة تُزيح مَن ترغب، وتُعيِّن مَن تحبّ، أو تنزع الخلافة من صاحبها الذي اختارته الأمة، وصبح ذلك قاعدة[1]، فأصر على موقفه وهو يرى الموت في سيوف المحاصرين، وإن الذي يقف هذا الموقف لهو الشجاع وإنه لصاحب حق، ولن يقف هذا الموقف رجل جبان أو محب للدنيا أبداً، فالحياة عند هؤلاء الجبناء أفضل من المكانة ومن الدنيا كلها[2]، ولكن هذا الإصرار العجيب والعزيمة النافذة، والشجاعة الفائقة من عثمان رضي الله عنه ثمرة إيمان قوي بالله عز وجل واليوم الآخر وقر في قلبه، وجعله يستهين بكل شيء في هذه الحياة حتى بالحياة نفسها[3].

4 ـ الجهاد بالمال:

إن الجهاد بالنفس اقترن مع الجهاد بالمال، وربما قدم عليه، قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء: 95].

وهناك آيات كثيرة تقرن المال بالنفس، وإن الذي ينفق المال في سبيل الله بسخاء إنما هو مجاهد وشجاع، وقد أنفق عثمان رضي الله عنه الكثير حتى قال رسول الله ﷺ: «**ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم**» مرتين[4].

لقد كان عثمان رضي الله عنه شجاعاً لا يهاب الموت، جريئاً يواجه الباطل في تحد سافر، حليماً لا يجهله حمق الحمقى[5].

---

(1) الأمين ذو النورين، ص(197).
(2) المصدر نفسه، ص(197).
(3) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، محمد الوكيل، ص(304).
(4) سنن الترمذي رقم (3785).
(5) جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، ص(304).

عاشراً: الحزم:

إن صفة الحزم في شخصية ذي النورين أصيلة، ونجد الصدِّيق ﷺ عندما عرض عليه الإسلام قال له: ويحك يا عثمان!! إنك رجل حازم، ما يخفى عليك الحق من الباطل، ما هذه الأوثان التي يعبدها قومنا[1]؟!...

وفي سنة 26هـ زاد عثمان في المسجد الحرام، ووسّعه، وابتاع من قوم وأبى آخرون، فهدم عليهم، ووضع الأثمان في بيت المال، فصيَّحوا بعثمان، فأمر بهم بالحبس، وقال: أتدرون ما جرأكم عليّ؟ ما جرأكم عليّ إلا حلمي، قد فعل هذا بكم عمر فلم تصيِّحوا به، ثم كلَّمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد، فأخرجوا[2].

ومن المواقف التي تدل على حزمه: حمايته لنظام الخلافة من الضياع، فلم يُجِب الخارجين إلى خلع نفسه من الخلافة، فكان بذلك يمثّل الثبات واستمرار النظام، لأنه لو أجاب الخارجين إلى خلع نفسه لأصبح منصب الإمامة العظمى ألعوبة في أيدي المفتونين الساعين في الأرض بالفساد، ولسادت الفوضى واختّل نظام البلاد، ولكان ذلك تسليطاً للرعاع والغوغاء على الولاة والحكام، لقد كانت نظرة عثمان ﷺ بعيدة الغور، فلو أجابهم إلى ما يريدون لسنّ بذلك سنة، وهي كلما كره قوم أميرهم خلعوه، ولألقى بأس الأمة بينها، وشغلها بنفسها عن أعدائها، وذلك أقرب لضعفها وانهيارها، على أنه لم يجد سوى نفسه يفدي بها الأمة، ويحفظ كيانها وبنيانها من التصدع، ويدعم بهذا الفداء نظامها الاجتماعي، ويحمي سلطانها الذي تُساس به من أن تمتد إليه يد العبث والفوضى.

ومما لاشك فيه أن هذا الصنع من عثمان كان أعظم وأقوى ما يستطيع أن يفعله رجل ألقت إليه الأمة مقاليدها، إذ لجأ إلى أهون الشَّرَّين وأخف الضررين ليدعم بهذا الفداء نظام الخلافة وسلطانها[3]، وسيأتي بيان ذلك في محله بإذن الله.

---

(1) عثمان بن عفان، صادق عرجون، ص(47).

(2) تاريخ الطبري (5/ 250).

(3) تحقيق مواقف الصحابة من الفتنة (1/ 474).

حادي عشر: الصبر:

اتصف عثمان رضي الله عنه بصفة الصبر، ومن المواقف الدالة على هذه الصفة: ثباته في الفتنة، إذ كان موقفه إزاء تلك الأحداث التي ألمت به وبالمسلمين المثل الأعلى لما يمكن أن يقدمه الفرد من تضحية وفداء في سبيل حفظ كيان الجماعة، وصون كرامة الأمة، وحقن دماء المسلمين، فقد كان بإمكانه أن يقي نفسه ويخلِّصها لو أنه أراد نفسه ولم يرد حياة الأمة، ولو كان ذاتياً ولم يكن من أهل الإيثار لدفع بمن هَبَّ للذود عنه من الصحابة وأبناء المهاجرين والأنصار إلى نحور الخارجين المنحرفين عن طاعته، ولكنه أراد جمع شمل الأمة، ففداها بنفسه صابراً محتسباً، وقد أعلن عثمان رضي الله عنه أنه سيواجه الفتنة العارمة بالصبر الجميل[1]، ممتثلاً قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ [آل عمران: 173].

إن عثمان رضي الله عنه كان قوي الإيمان بالله، كبير النفس، نفّاذ البصيرة، نبيل الصبر، حيث فدى الأمة بنفسه، فكان ذلك من أعظم فضائله عند المسلمين[2]، قال ابن تيمية رحمه الله: ومن المعلوم بالتواتر أن عثمان كان من أكف الناس عن الدماء، وأصبر الناس على مَن نال من عرضه وعلى مَن سعى في دمه، فحاصروه وسعوا في قتله، وقد عرف إرادتهم لقتله، وقد جاءه المسلمون ينصرونه ويشيرون عليه بقتالهم، وهو يأمر الناس بالكف عن القتال، ويأمر مَن يطيعه أن لا يقاتلهم.. وقيل له: تذهب إلى مكة؟ فقال: لا أكون ممن ألحد في الحرم، فقيل له: تذهب إلى الشام؟ فقال: لا أفارق دار هجرتي، فقيل له: فقاتلهم، فقال: لا أكون أول مَن خلف محمداً في أمته بالسيف، فكان صبر عثمان حتى قُتل من أعظم فضائله عند المسلمين[3].

ثاني عشر: العدل:

واتصف عثمان رضي الله عنه بصفة العدل، فعن عبد الله بن عدي بن الخيار: أنه دخل على عثمان رضي الله عنه وهو محصور فقال له: إنك إمام العامة وقد نزل بك ما ترى، وهو ذا يصلي

(1) سير الشهداء للسختياني، ص(57، 58).

(2) تحقيق مواقف الصحابة من الفتنة (1/ 472).

(3) منهاج السنّة (3/ 202، 203).

بنا إمام فتنة ـ عبد الرحمن بن عُدَيْس البلوي ـ وأنا أخرج من الصلاة معه. فقال له عثمان: إن الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم[1]، وروى ابن شبة بإسناده؛ قال: دخل عثمان بن عفان على غلام له يعلف ناقة؛ فرأى في علفها ما كره، فأخذ بأذن غلامه فعركها، ثم ندم؛ فقال لغلامه: اقتص؛ فأبى الغلام، فلم يدعه حتى أخذ بأذنه فجعل يعركها، فقال له عثمان: شدَّ حتى ظنَّ أنه قد بلغ منه مثل ما بلغ منه، ثم قال عثمان رضي الله عنه: واهاً لقصاص قبل قصاص الآخرة[2].

ثالث عشر: عبادته:

كان عثمان رضي الله عنه من المجتهدين في العبادة، وقد روي من غير وجه أنه صَلى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود، أيام الحج، وقد كان هذا من دأبه رضي الله عنه[3]، ولهذا روينا عن ابن عمر أنه قال في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزُّمَر: 9] قال: هو عثمان بن عفان[4] وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل 76] قال: هو عثمان[5]، وكان رضي الله عنه يفتتح القرآن ليلة الجمعة، ويختمه ليلة الخميس[6]، وكان رضي الله عنه يصوم الدهر ويقوم الليل إلا هجعة من أوله[7].

رابع عشر: خوفه من الله وبكاؤه ومحاسبته لنفسه:

فقد جاء في إحدى خطبه: أيها الناس! اتقوا الله فإن تقوى الله غنم، وإن أكيس الناس مَن دان نفسه وعمل لما بعد الموت، واكتسب من نور الله نوراً لقبره، وليخشَ أن

---

(1) البخاري رقم (695).
(2) أخبار المدينة، لابن شيبة (3/ 236).
(3) الطبقات الكبرى (3/ 76)؛ تاريخ الإسلام عهد الخلفاء، الذهبي، ص(476).
(4) تفسير ابن كثير (4/ 47).
(5) تفسير ابن كثير (2/ 579).
(6) علو الهمة (3/ 93).
(7) صفة الصفوة للإمام ابن الجوزي (1/ 302).

يحشره الله أعمى وقد كان بصيراً[1]، وقد روى عنه قوله: لو أني بين الجنة والنار، لا أدري إلى أيتها يؤمر بي، لتمنيت أن أصير رماداً قبل أن أعلم إلى أيتهما أصير. وكانت روحه ترتجف وعبراته تفيض عندما يذكر الآخرة، وعندما يتخيل نفسه وقد انشق قبره ونسل من جدثه إلى العرض والحساب[2]، فعن هاني مولى عثمان، قال: كان عثمان إذا وقف على قبر بكى حتى تبتل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**»، قال: وقال رسول الله ﷺ: «**والله ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه**»، قال: وكان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، ثم قال: «**استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل**»[3]، وهذا من فقه القدوم على الله الذي استوعبه عثمان رضي الله عنه وعاش به في حياته، وما أحوجنا إلى هذا الفقه العظيم الذي به تحيا النفوس وتتفجر الطاقات.

خامس عشر: زهده:

اشتهر أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه بأنه من أهل الغنى والثروة، ولكن مع هذه الشهرة فإنه قد رويت عنه أخبار تدل على أنه كان من الزاهدين في الدنيا، فعن حميد بن نعيم: أن عمر وعثمان رضي الله عنهما دُعيا إلى طعام، فلما خرجا قال عثمان لعمر: قد شهدنا طعاماً لوددنا أنا لم نشهده، قال: لمَ؟ قال: إني أخاف أن يكون صنع مباهاة[4].

فهذا فقه من عثمان رضي الله عنه بمجالات السخاء الإسلامي، فالسخاء في الإسلام لا يكون بالتفاخر بالكرم والتباهي بنوع الطعام أو كثرته، وإنما يكون ببذل المال من غير إسراف ولا خيلاء، مع شكر المنعم ـ جلَّ وعلا ـ والتواضع للناس، وهذه النظرة من عثمان تعتبر من التزهيد بالجاه الدنيوي، وهذا يدل على أنه كان من الزاهدين في ذلك[5].

---

(1) صحيح التوثيق في سيرة وحياة ذي النورين، مجدي فتحي السيد، ص(107).

(2) نظام الحكم في عهد الخلفاء الراشدين، حمد محمد الصمد، ص(205).

(3) فضائل الصحابة رقم (773) إسناده حسن.

(4) الزهد للإمام أحمد، ص(126).

(5) التاريخ الإسلامي (17، 18/ 48).

ومن زهد عثمان رضي الله عنه وتواضعه ما أخرجه الإمام أحمد من حديث ميمون بن مهران قال: أخبرني الهمداني، أنه رأى عثمان بن عفان عليه بغلة وخلفه غلامه نائل وهو خليفة[1].

وكذلك ما أخرجه من حديث الهمداني قال: رأيت عثمان نائماً في المسجد في ملحفة ليس حوله أحد وهو أمير المؤمنين[2]. كما أخرج من حديث شرحبيل بن مسلم أن عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يطعم الناس طعام الإمارة، ويدخل إلى بيته فيأكل الخل والزيت[3].

فهذه أمثلة جليلة من زهد أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، وحينما يكون الزاهد متوسطاً في المعيشة، فإن زهده لا يلفت النظر كثيراً ولا يثير العجب، ولكن حينما يكون غنياً فإن زهده يكون مدهشاً للمتأملين وعبرة للمعتبرين، ذلك لأن كثرة المال تغري بالانصراف نحو الملذات والتوسع في النفقات، فلابد ليكون الغني زاهداً من استيعابه لفقه القدوم على الله حتى يكون مهيمناً على نفسه مذكراً لقلبه، فتكبر الآخرة في عينه وتصغر الدنيا في نفسه، وهكذا كان عثمان رضي الله عنه الذي كان من أعظم الأثرياء في الإسلام، قد غلبت قوة إيمانه شهوته وهواه، فكان من أعظم الزاهدين، وضرب من نفسه مثلاً لجميع الأغنياء بإمكان الجمع بين الغنى والزهد في الدنيا[4].

سادس عشر: الشكر:

كان عثمان رضي الله عنه كثير الشكر لله تعالى باللسان والجنان والأركان؛ دُعي ذات يوم إلى قوم على ريبة فانطلق ليأخذهم فتفرقوا قبل أن يبلغهم، فأعتق رقبة: شكراً لله أن لا يكون جرى على يديه خزي مسلم[5].

---

(1) الزهد، ص(127).
(2) المصدر نفسه.
(3) المصدر نفسه، ص(129).
(4) التاريخ الإسلامي (17، 18/ 49).
(5) علو الهمة (5/ 481).

سابع عشر: تفقُّد أحوال الناس:

كان ﷺ ودوداً رؤوفاً يسأل عن أحوال المسلمين، ويتعرف على مشكلاتهم، ويطمئن على غائبهم، ويواسي قادمهم، ويسأل عن مرضاهم، فقد روى الإمام أحمد عن موسى بن طلحة قال: رأيت عثمان بن عفان وهو على المنبر، وهو يستخبر الناس يسألهم عن أخبارهم وأسعارهم[1]، وروى ابن سعد في الطبقات عنه أيضاً قال: رأيت عثمان بن عفان يخرج يوم الجمعة عليه ثوبان أصفران، فيجلس على المنبر، فيؤذن المؤذن، وهو يتحدث يسأل الناس عن أسفارهم وعن قادمهم وعن مرضاهم[2]، وكان ﷺ يهتم بشؤون الرعية، ويصل ذوي الحاجة، ويفرض العطاء للمواليد من بيت المال[3]، فقد رُوي عن عروة بن الزبير قال: أدركت زمن عثمان وما من نفس مسلمة إلا ولها في مال الله حق - يعني بيت المال -[4].

ثامن عشر: تحديد الاختصاصات:

المراد بتحديد الاختصاص: تقسيم وظائف العمل على العاملين، بحيث يكون كل موظف عالماً بالعمل الذي كُلّفه ليقوم به دون تقصير فيه، ولا يتجاوزه إلى عمل آخر مسند إلى سواه. وتقسيم الوظائف سنّة كونية ربانية عمل بها الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده، ففي عهد عثمان ﷺ وزعت الوظائف والأعمال على المسلمين كل في ميدانه، كما سيأتي بيانه بإذن الله، ففي مؤسسة القضاة، والمال، والجيش، وولاية الأمصار ظهرت الصفة القيادية في تحديد الاختصاصات عند الخليفة الراشد عثمان ﷺ، فقد تم تقسيم الأعمال وحددت قواعد بين العاملين، كانت من أهم عوامل النجاح في دولة الخلفاء الراشدين، وبذلك تعامل الخليفة الراشد عثمان مع السُّنتين الكونية والشرعية في تحديد الاختصاصات[5].

---

(1) فضائل الصحابة رقم (812) إسناده صحيح.

(2) الطبقات (3/ 59).

(3) تحقيق مواقف الصحابة (1/ 396).

(4) المصنف في الحديث لابن شيبة (3/ 1023).

(5) الكفاءة الإدارية، ص(117).

تاسع عشر: الاستفادة من أهل الكفاءات:

إن الإشادة بالأكفاء وإرشاد الأمة إلى احترامهم، وتكريمهم ووضعهم في مواضعهم وعدم هضمهم حقوقهم، والاستفادة من طاقاتهم واختصاصاتهم، إن ذلك مما جعل أهل القرون المفضلة من سلف هذه الأمة ينالون العز والمجد والتمكين في هذه المعمورة[1].

وقد ظهرت هذه الصفة في شخصية عثمان رضي الله عنه عندما استفاد من كفاءات زيد بن ثابت واللجنة التي عيّنت معه في جمع القرآن على حرف واحد.

هذه بعض الصفات التي تُلاحَظُ في شخصية عثمان رضي الله عنه، وهي محل قدوة وأسوة لقادة المسلمين وعوامهم، لمن يريد أن يتبع هدي النبي ﷺ والخلفاء الراشدين في هذه الحياة.

إن معرفة صفات الخلفاء الراشدين ومحاولة الاقتداء بهم، خطوة صحيحة لمعرفة صفات القادة الربانيين الذين يستطيعون أن يقودوا الأمة نحو أهدافها المرسومة بخطوات ثابتة، فمن أسباب التمكين لهذا الدين، العمل على إيجاد قادة ربانيين، جرى الإيمان في قلوبهم وعروقهم، وانعكست ثماره على جوارحهم، وتفجرت صفات التقوى في أعمالهم وسكناتهم وأحوالهم، فالقيادة الربانية الحكيمة هي التي تسعى لتحكيم شرع الله، وتفجير طاقات الأمة وتوجيهها، وهي التي تحتضن الإسلام وتنهجه قلباً وقالباً، جوهراً ومنظراً، وعقيدة وشريعة، وديناً ودولة، وهي التي تصبح وتمسي وهمّها عقيدتها وأمتها، وهي التي تسعى بكل ما تملك لحل المشاكل التي تواجهها وتعمل بكل جهد وإخلاص للقضاء على عوائق التمكين الداخلية والخارجية.

❑❑❑

(1) الكفاءة الإدارية، ص(157).